عابد خزندار مواصلاً مكاشفاته الملتهبة (٢-٤):

أنا مازلت على حالي مؤمناً بكل المبادئ التي اخترتها لنفسي أو اختارتني في كل مراحل حياتي.

- لم أتفق أبداً مع عبدالله القصيمي في آرائه الإلحادية واستفزازه لشعور المسلمين.
- أنصح عبدالله الجفري بالتوقف عن كتابة الأعمدة فقد تجاوزه الزمن ونشأ جيل جديد من الكتّاب.
- نعم أحمد زكي يماني موظف بدرجة وزير وإذا اعتبرته رمزاً وطنياً فماذا تسمي مانديلا ؟
- نعم جمعتني وصالح أمبة الأفكار نفسها وسكنا سوية.
- أوافق محمد سعيد طيب في ما ذكره عن الشيخ ابن جبير.
- المرأة في بلادنا تعيش كالخادمات.

بين يدي مكاشفات:

لكل الأحبة الذين أمطرونا بتعليقاتهم وثناءاتهم على عدد (الرسالة) في أسبوعه الفارط، والذين ألحّوا على مزيد من المكاشفات، نقول لهم شكراً جزيلاً على كل ما أكرمتمونا به من حسن ظن وتشجيع. غير أننا نوجه شكراً خاصاً لزميلين كريمين قاما بعتابنا، ونقدا ما ظنّاه مساساً بعائلات مكة، عمرها الله وحرسها، عندما وجّهنا أسئلة خاصة لضيفنا تتعلق ببعض الأسر المكية المترفة التي تأثرت بعصر النهضة المصري اجتماعياً وفكرياً. ونحن في (الرسالة) نرحب بهذا التواصل ومخالفتنا

نشر اللقاء يوم الجمعة ١٤ ذو القعدة ١٤٢٣هـ بصحيفة المدينة ملحق الرسالة.

بطريقة عصرية، ونذهب به إلى أمداء أبعد في دعوتنا لترسيخه في جذور تربيتنا المجتمعية، و إذا كانت أجيال مضت - وبعضها لا يزال - تصرّ على مسألة الاستكبار وأنهم فوق النقد يتلبّسهم الاستكبار الفرعوني في ذلك، إلا أننا نزعم ولله الحمد بأنّا لا نستنكف أبداً مسألة النقد لتقويم مسيرتنا. و كاتب السطور يزعم أنه حاول من خلال المكاشفة استقراء تأريخياً للأحداث التي أشكلت على بعض جيله، وحاول الوصول إلى إجابات تحتاج لرجل يمتلك الشجاعة والصراحة كي يجيب بكل الموضوعية والأمانة اللتين تقتضيهما الشهادة للتأريخ بعيداً عن تزلف مستهجن أو إقليمية مقيتة، أو فوبيا "التشبث بالمكانة " للأسف والتي تتلبس كتّاباً كثيرين يجبنون دائماً عن سرد الإجابات ويهمهمون همهمة الكهنة إذا ما استشرفت شهاداتهم، وقد رأوا أن الانصراف إلى أمورهم الحياتية والحفاظ على مكاسبهم أجدى كثيراً وأسلم، الى الدرجة التي يفرقون - بكل ما تعنيه الكلمة - من المواجهة والمكاشفة ..

ما نطرحه في هذه المكاشفات هو محاولة متواضعة للوصول إلى حقائق وأحداث تتعلق بتاريخنا الأدبي والاجتماعي والسياسي غمّت عليها ظروف الزمان والمكان، وسربلتها الأحداث بغطاء لم تر النور بعد، أو عبر تلك الحكايات المتداولة التي تقول ببطولات مهولة نسمعها في المجالس الخاصة تذكرنا بحديث الكاهن - مرة أخرى - الذي يسترق له الجني الكلمة فيكذب فوقها تسعاً وتسعين كذبة.

نحتاج - طالما أن ثمة فسحة في الحرية الصحافية تتصاعد في رسمها البياني بطريقة متدرجة وحكيمة لا تستبق المراحل ولا تحرقها،أن نتحاور مباشرة مع من عاشوا أحداث الماضي، ونسجل عليهم ما حصل فعلاً، وهو ما حاولناه مع ضيفنا الكاتب الاجتماعي الشهير عابد خزندار الذي امتطى الفروسية وأجابنا بكل الشجاعة والصراحة والصدق كوثيقة مهمة ننفرد بها في (الرسالة). إننا بهذا أيها السادة الكرام

نقطع الطريق على من يزايد علينا في الخارج ممن يصطادون - بنفوسهم النزقة المريضة - أية شائعات أو حديث مجالس عابر ليكذبوا فوقها الكذبات، أو من سيأتي بعد رحيل هؤلاء الأشخاص ويمتهن ما يفعله الكاهن فنكون بهذا التوثيق التأريخي، ومن فم من عاش الحدث، قد أرّخنا بوقائع حقيقية بعيداً عن المبالغات الفجة والأساطير الزائفة التي عادة ما تدلق عند تشافهها في المجالس الخاصة..

وأختتم مستأذناً ضيفي الكريم وقرائي برأي خاص أبديه حيال موضوع وزيرنا السابق معالي الشيخ أحمد زكي يماني، أسطّره شهادة شخصية في حق هذا الرجل الذي على الرغم من بعده عن الوزارة بما يناهز العقدين إلا أنه لم يفقد نجوميته كما الكثيرين من لداته، ويزعم كاتب السطور أنه متابع جيد لمجموعة من الصحف العربية يحرص يومياً على قراءتها، ويشهد أنه ما من تصريح يدلي به لأي جهة إعلامية، إلا وتتناقله الوكالات العالمية دليلاً على مكانته وأهمية ما يقول، ولولا الخشية من أن ينصرف ما أودّ أن أعبّر عنه من رأي شخصي إلى غير ما أحب، لكتبت عن الرجل وسيرته وما قدم للوطن. غير أن ذلك لا يعني أبداً ألا نحاكم تلك الفترة التي أمضاها معاليه، بل أدعو من هذا المنبر إلى تعميم قراءات موضوعية لكل المرحلة عبر رجالها من لدن مثقفين مخلصين يهدفون إلى كشف مكامن الأخطاء أو مقومات النجاحات التي تحققت، ومساءلة المسؤول عما أنجزه، وأرى أن ذلك حق من حقوق المجتمع والأجيال الجديدة. حتى يعرف من استوزر ووثق فيه ولي الأمر أن التأريخ ليس وحده وراءهم، بل جيل مستنير متعلم تفتحت أمامه آفاق المعلوماتية، وتعرّى على صفحته دهاقنة كتّاب الزيف والأصباغ وقلب الحقائق، والذين آن أوانهم فعلاً ليرحلوا بعدما أصبحت كتاباتهم الحربائية والمنافقة والمتملقة أضحوكة تتندر بها أجيال اليوم..

عبد العزيز قاسم

❁ **ذكرت في الحلقة الماضية شيئا عن أستاذك عبد الله عبدالجبار، سؤالي أستاذ عابد : هل كان الرجل شخصية مهمة في حياتك ؟**

- كان الرجل يستقطب الكثير من الأدباء في عموم الوطن العربي، من بينهم أدباء من الحجاز ونجد كحمد الجاسر ومحمد بن بليهد الذي عاش آخر حياته في مصر، وعبدالله القصيمي والعطار والعمودي والأنصاري وغيرهم.

❁ **كيف كانت تتوزع محاوراتهم، هل تقف عند حدود الأدب والثقافة أم تتمدد إلى السياسة وتفريعاتها الاجتماعية والاقتصادية؟**

- المجلس كان يضم كل التيارات تقريباً. حتى إنك كنت لتجد الشيخ عبد المنعم خفاجي والشيخ محمود أبو رية. لا بل إن الشيخ عمر عبدالرحمن يكون جالساً هناك وبجانبه أحد الشيوعيين. وكان الحوار ثراً وخلواً من التعصب، وتتنقل الحوارات ما بين الثقافي والسياسي وشتى المواضيع المتعلقة بالحياة وأحداثها.

❁ **على ذكر عبدالله القصيمي. هل كانت بينك وبينه علاقة؟**

- في الحقيقة كنت ألتقيه في مجلس الأستاذ عبدالله عبدالجبار ولكن العلاقة بيننا لم تتطور إلى أبعد من ذلك.

❁ **على الأقل إذ لم أظفر بمعرفتك الشخصية به، دعني أعوّض على قرائي برأيك في فكر الرجل وتحولاته ؟**

- لم أكن أتفق بالطبع معه في آرائه الإلحادية، وكان رأيي أن الكتابة في هذا الموضوع فيها استفزاز لشعور المسلمين، ومضيعة للوقت بالنسبة لهم، وهو صاحب أسلوب ممتاز، ولو وظفه في قضايا إصلاحية لكان ذلك أجدى للقارئ .

سلامة موسى مرة أخرى

❁ **هذه نقطة إيجابية في رأيي تسجل لك عند الله أولاً، ولتأريخك تالياً، ولكن سامحني أستاذ عابد، سأعود هنا إلى سلامة موسى مرة أخرى لشعوري بأهميته كي نصل إلى فهم فكرك. ما الذي تعلمته من هذا الرجل فأثّر فيك وجذبك إلى شخصيته؟**

- أكثر ما أثّر فيّ هو فكره عن النهضة.. كان يتصور أن تشمل النهضة العلوم والصناعة ومجمل مناحي الحياة، وأذكر مثلاً دعوته إلى صناعة الهواتف في مصر أيام غزت تلك الآلة المجتمعات عبر العالم.. وكان موقفه من المرأة يلتقي مع موقفي منها.

❁ **لأتوقف معك هنا وأطلب منك تبيان هذا الموقف من المرأة ذلك الحين الذي وافقته فيه؟**

- في الحقيقة عندما بدأت الدراسة في كلية الزراعة فوجئت بأن الشخص الذي كان يجلس بجانبي فتاة اسمها ظريفة، وطبعاً حرف الظاء يسبق حرف العين مباشرة وأنا اسمي عابد أوله حرف العين أي يأتي قبل عادل. وفي البداية شعرت بالحرج وتهيبت من الحديث، فهي أول فتاة اختلط معها بعد محارمي، ولكن مع مرور الزمن أصبحت العلاقة بيننا عادية ولم تتعد حدود الزمالة وكانت هناك فتيات أخريات في القسم ولم ألاحظ أبداً أن أحداً حاول أن يعاكسهن، بل بالعكس في نهاية دراسة الكلية تزوجت بعضهن من زملاء لهن أو من بعض أساتذتهن، وكان الأستاذ سلامة موسى قد أعطاني كتاب أو مسرحية " دمية البيت" لهنريك ابسن، وهو عن زوجة تحاول أن تجد عملاً، ويحاول القس أن يمنعها بتحريض من زوجها، وعندما يسألها القس : ما الذي ستضيفينه بعملك في المجتمع، فأجابته: الهواء النقي، وقد تعلمت كثيراً من هذه المسرحية، ثم

قارنت بين وضع المرأة في بلادنا وفي مصر، فوجدت أن المرأة في بلادنا تعيش حبيسة البيت وتعيش حياة لا تختلف عن حياة الخادمة، ويمكن أن يلفظها زوجها من بيتها في أي لحظة، ولن أنسى حتى الآن تجربة مرت بي وأنا صغير وتركت أثراً غائراً في نفسي إذ صحوت في إحدى الليالي وسمعت صراخ امرأة مختلطاً بصراخ أطفال؛ فنزلت إلى الشارع فوجدت أحد جيراننا يطرد زوجته من بيته ويصرخ فيها: " أنت طالق "، وفى الوقت نفسه يضرب أطفاله لكي لا يلحقوا بها، ولم تعد تلك المرأة بعد ذلك إلى بيتها، وعاشت بعد ذلك في أحد الأربطة، كذلك كانت هناك تجربة مريرة أخرى في حياتي لن أنساها أبداً، إذ فوجئنا بعجوز كسيحة ملقاة ككيس نفايات أمام بيتنا، عرفنا منها أن زوجها طلقها وألقاها أمام بيتنا، ولم يكن لها عائل من أهلها. وقد عاشت في دكة بيتنا، تحت ما يشبه الخيمة، ولم تذكر اسم زوجها أبداً. وعاشت سنتين ثم ماتت، ويمكن أن يشهد الأخ محمد نور فطاني على ذلك، وكانت المرأة في تلك الأيام محتقرة، وفى بعض المناطق، كان الرجل عندما يتحدث عنها يقول للآخر: " الله يعزك "؛ ولذلك آمنت وأنا صغير أن المرأة يجب أن تتحرر من رق الرجل، وأن تكون لها شخصيتها المستقلة، وعندما تطلق يجب أن يصرف عليها زوجها السابق، كما آمنت بوجوب عمل المرأة فمن غير المعقول أن يشل نصف المجتمع ونستورد عمالة من الخارج يمكن أن تقوم بها المرأة السعودية، ثم إن عمل المرأة الآن لم يعد ترفاً، إذ إن الزوج وحده لا يستطيع أن يفتح بيتاً أو يقيم أسرة، ولابد أن تشاركه زوجته في تحمل أعباء البيت، والآن أكثر من نصف المجتمع إناث والعنوسة منتشرة بينهن، فهل تظل حبيسة بيت أبيها دون عمل؟ والمؤسف أن فرص العمل أمام المرأة محدودة، وهناك مئات الخريجات الجامعيات العاطلات، وأنا أتلقى العديد من الشكاوى منهن، والعديد منهن يقسرن على العمل في بعض المدارس

كمستخدمات براتب ١٢٥٠ ريالا، وسنواجه مركزا حرجا في عام ١٣٤٠عندما يصل عدد الإناث إلى ثمانية عشر مليونا، ويجب أن نفكر من الآن في إيجاد العمل المناسب لهن وإلا فإننا سنواجه كارثة حقيقية .

مرحلة أمريكا

❁ **سأعود معك أستاذ عابد للحديث باستفاضة حول المرأة وقضاياها التي أظن أنها لن تنتهي إلى قيام الساعة، واعذرني بالعودة بك إلى "سردك " التأريخي. غادرت مصر في العام ١٩٥٧م عدت لتتعين في وزارة الزراعة بالمملكة..**

- لا، ذهبت إلى أمريكا للدراسة أيضاً.. وهناك دخلت عدة كورسات أدبية بموازاة دراستي لتخصصي.

❁ **العجيب أستاذ عابد أننا لم نقرأ الكثير عن الفترة التي عشتها في أمريكا، بل حتى أنت لا تذكر ذلك كثيراً، هل ثمة إشكالية ؟**

- كنت هناك في جامعة ميريلاند القريبة من واشنطن، ولم يكن بها سعوديون كثر، كما أنني لم أصادق الأمريكيين بل عشت في عزلة انتهجتها لنفسي تفرغت فيها للدراسة.

❁ **عن ماذا كانت رسالتك في الماجستير؟**

- عن التخمير الغذائي لدى الأبقار في عملية الهضم، وذلك في تخصص الكيمياء الحيوية.

❁ **يا ساتر، أي بعد بين مضمون رسالتك هذه وما نحن فيه من عراك فكري، واستقراء تأريخي لحياتك. على العموم يمكن أن نختم هذه المرحلة بسؤالك: ما الذي يمكن أن نرصده في مرحلتك الأمريكية التي دامت ثلاث سنوات من النواحي الفكرية والسياسية؟**

- كانت حياتي هناك خالية من أي نشاط. لم يكن ثمة جو ثقافي في أمريكا يستدرجني للاندماج في المجتمع. ربما تكون مدينة نيويورك هي الاستثناء الوحيد في النسيج الأمريكي لكونها تزخر بالأنشطة الثقافية والمعارض والمسارح.

العودة للوطن

❁ **بعد ذلك عدت إلى السعودية. هل كنت متزوجاً في تلك الفترة؟**

- نعم كنت متزوجاً. وعدت إلى السعودية فاشتغلت في وزارة الزراعة ثلاث سنوات في الرياض، منها سنة تقريباً في وادي سرحان.

❁ **وهل ظللت على اهتمامك بالأدب على الرغم من انهماكك في الروتين الوزاري والعمل الوظيفي الحكومي بكل استنزافه ؟**

- في الحقيقة كنت أقرأ. لكنني لم أكتب..

❁ **السؤال الذي لم يجبني أحد من أصدقائك عليه، هو لماذا استقال عابد خزندار من وظيفته رغم أنها مرموقة نوعاً ما، هل السبب يكمن في أن وظيفتك تلك لم تكن تلبي طموحك مثلاً؟**

- خروجي من وزارة الزراعة لم يكن باختياري، فبعد السجن قاموا بفصلنا من الوزارة وتم منعي من التعيين بعدها في أي عمل حكومي .

حول التوقيف

❁ **بمناسبة التوقيف والسجن. هل صحيح ما يشاع بأن سبب ذلك أنك كنت ضمن المشاركين في المظاهرة العمالية لأرامكو التي ذكرها يماني في حديثه للزميلة عكاظ مما استدعى توقيفك وسجنك؟**

- لم أكن في المنطقة الشرقية .. كما أن المظاهرة نشبت بعد خروجي من السجن.

❁ **إذن بسبب ماذا أوقفت ؟**

- لا أدري .. فهم لم يوجهوا لي أي تهمة.

❁ **لا بدّ أن ثمة أسباباً خافية أو واضحة، أنت عابد خزندار إلى ماذا تعزو مثل هذه التوقيفات في تلك الفترة ؟**

- كان ذلك في زمن الصعود الإيديولوجي المصري في شخص جمال عبدالناصر. وكانت الدولة تريد أن تفرض هيمنتها وتحفظ الأمن.

❁ **اعذرني في هذا السؤال الصريح : هل تمّ توقيفك لأربع سنوات - كما يشاع - بسبب تهمة ما تزال مجهولة لديك؟**

- تمّ توقيفي لعامين وليس لأربعة أعوام.

❁ **هل أوقف معك آخرون؟**

- نعم عبدالكريم الجهيمان، وعبدالرحمن المنصور، وهو شاعر من المنطقة الشرقية .

❁ **طالما ذكرت الجهيمان هنا، دعني أستفسر عن بداية علاقتك به، هل بدأت في فترة التوقيف، وكيف تطورت ؟**

- نعم، عرفته في فترة التوقيف وما كنت أعرفه من قبل، كنا نسكن في غرفة واحدة، نأكل سوياً ونقرأ سوياً، كذلك نمت بيننا مودة ما زالت مستمرة حتى الآن.

❁ **وما تقييمك للرجل الذي يعده الكثيرون من متابعيه علامة فارقة في التاريخ المحلي ؟**

- لقد كتبت عنه عدة مقالات كما كتبت مقدمة لكتابه، وهو طبعاً علامة فارقة في تاريخنا المحلى .

❁ **أشعر أنك لم تجبنا بما يشبع نهمنا المعرفي لتلك العلاقة والفترة أيضاً. هل أطمع ببعض التفصيل ؟**

- كتبت عنه غير مرة فأرجو أن ترجع إلى ذلك .

❁ **إذا نظرنا بمنظار علماء النفس، أتصور بأنك عانيت كثيرا - نفساً - من تلك التجربة وربما أثرّ ذلك عليك في مراحل لاحقة من حياتك، على الأقل تفسر لنا حدة الردود والغضبات المضرية التي تنتاب ردودك؟**

- أبداً تعجب إذا قلت لك إنني أمضيت عامين هادئين تفرغت فيهما للقراءة بلا أدنى صخب أو ضجيج، استثمرت فترة التوقيف مع الجهيمان في القراءة والمحاورات معه. في الحقيقة لم أعان أبداً، وستتعجب إذا قلت لك إن فترة السجن لم تكن مؤلمة بالنسبة لي. صحيح أنني ظللت فيها بعيداً عن أهلي وعالمي الخاص، لكنني لم أعان. كنت أقرأ وأكيّف نفسي مع المكان.

ثم مثلت أمام الشيخ ابن جبير رئيس مجلس الشورى السابق رحمه الله وسألني: هل تعتنق أفكاراً ضد الدين ؟ فابتسمت وجعلني أوقع على إقرار بأني لا أحمل أية أفكار من هذا القبيل وخرجت بكل بساطة.

❁ **يقودني ذلك إلى سؤال أيضاً يتبع السابق حول الذي تبقى لك من ذاكرة التوقيف والسجن في عهود غبرت؟**

- لقد تعرضت إلى التوقيف ولكنني لم أعذب. كما أنهم لم يوجهوا لي تهمة معينة.

❁ **هذا إقرار تأريخي منك وسيسجل لصحيفة "المدينة " في هذا العهد أنها انفردت بإقرارك بكل ما ذكر وشهاداتك على تلك الفترة كي لا يزايد أحد عليها في ما بعد، وتشجعني صراحتك وأريحيتك بالتالي أن أسألك عن الشخصية التي تشفّعت لك بالخروج من التوقيف الذي ذكرت كتوثيق للتأريخ ؟**

- إن كنتم ستتشرون ذلك فإن الشيخ ابن جبير الذي كانت المحكمة برئاسته هو الذي حاكمني. وكان المدعي العام وأظن أن اسمه عبدالحليم حمزة وجه إلي تهمة قال فيها: إن لي ميولاً فكرية ممنوعة. فقلت له: الميول محلها القلب والسلطان لا ولاية له على القلب. وكان الشيخ ابن جبير يقول لي: هذا صحيح لكنه لن ينفعك، فلماذا لا تقول ليس لدي ميول وتريح نفسك .(ضاحكاً) والشيخ ابن جبير قال ذلك ليتخلص من الحرج؛ فالإنسان لا يسجن لمجرد ميوله، الإنسان يسجن إذا فعل أو إذا جاهر بهذه الميول .

❁ **وطبعاً كتبت ذلك التعهد، وأتصور أنك حفظت للشيخ ابن جبير رحمه الله تلك اليد، وقد سمعت هذا الثناء والامتنان لابن جبير من محمد سعيد طيب والذي تولى أيضا محاكمته ؟**

- طالما أنني أحكي لك قصتي معه بهذه الحميمية فهذا يعني أنني أؤيد محمد سعيد طيب وأحفظ لابن جبير تلك اليد، كتبت ذلك وخرجت بكل البساطة.

❁ **يستدعي ما ذكرت سؤالاً أو إقراراً أتكئ فيه على موضوعيتك وشفافيتك فيه أستاذ عابد. ألا يعطي ما ذكرت آنفاً للتأريخ والمجتمع مؤشراً إلى التعامل العادل الرحيم للقاضي المسلم الممثل للمؤسسة الرسمية. كنتم تصفون، وما زال البعض منكم، المؤسسة الدينية المحلية بالرجعية، وأتأمل الآن هذا التعامل من الشيخ ابن جبير مع خصوم هذه المؤسسة من اليساريين والقوميين وأقارنه بما فعله اليساريون في اليمن الجنوبي والعراق والأنظمة الاشتراكية وحتى قومية عبدالناصر مع خصومهم، فلا أجد سوى برك الدماء التي سفكت هناك، وألوان التعذيب الوحشي التي لاقاها التيار الإسلامي في تلكم البلدان. بودي سماع تعليقك ؟ وكما ذكرت سيبقى ما تقول وثيقة تأريخية تسجل.**

- كانت المحاكمة بالنسبة لي عادلة، أما ما تقوله عن المؤسسة الإسلامية. فليس هناك شيء اسمه المؤسسة الإسلامية. هناك مسلمون وحسب، كما أنه لا يوجد شيء اسمه رجال دين بالمعنى الكهنوتي، هناك بالطبع علماء دين وهؤلاء معظمهم موظفون ولا يشكلون حزباً أو مؤسسة، أما عن المؤسسة الرسمية فالحقيقة أنها لم ترتكب الفظائع التي ارتكبتها الأنظمة الأخرى التي تحدثت عنها، وقد عفت عن الكثيرين من المسجونين قبل انتهاء المدة المحكوم بها عليهم.. ثم جاء الملك خالد وعفا عن الجميع.

معركة أحمد زكي يماني والجفري

❁ **طالما جرنا الحديث إلى المظاهرة العمالية وصالح أمبة.. فإن ذلك يجرنا بالضرورة إلى معركتك الأخيرة مع عبدالله الجفري وأنت كنت تقول إن الجفري هو أحد الأشخاص الذين ساعدوك بعد عبدالله الجبار في مجال الكتابة والنشر.. فلماذا علا بينكما غبار الحروف هكذا بين (البلاد) و(عكاظ)؟**

- لم يساعدني في الكتابة، ولكنه في الحقيقة هو أول من نشر لي عندما كان مشرفا لتحرير (الأربعاء)، وقد جرني إلى الكتابة جراً، فقد كنت عزوفاً عنها، ثم ذهب إلى الشرق الأوسط فجرني معه لكي أكتب وقد كان. ثم ترك الشرق الأوسط فتوقفت أنا أيضاً عن الكتابة، وعندما طلب مني الأخ رفقي الطيب مواصلة الكتابة في الشرق الأوسط قلت له: إنني كنت أكتب من أجل الجفري، هذا ولم أتقاض أي مبلغ على المقالات التي كنت أكتبها له.

❁ **وعلى الرغم من ذلك، ربما تأذن لنا بسؤالك عن كل تلك القسوة التي قرأناها بين سطورك في ردك عليه، إلى الدرجة التي عيرته فيها بالفقر وبخيانة المبادئ.**

- أنا لم أعيره بالفقر، بل كتبت عن قضية عامة، وهى إنشاء صندوق للصحفيين لمساعدة من يتوقف عن الكتابة منهم سواء كان الجفري أو غيره، وهناك أكثر من كاتب توقف عن الكتابة ولا يجد ما ينفقه.

والقضية كلها حدث فيها لبس. هو يقول إن مقاله المنشور في البلاد لم يكن عني، وأنه سلّمه لعكاظ قبل أن أكتب أنا مقالي، وكلامه صحيح، لكن المفروض أن يتصل بي بعد نشر مقاله ويشرح لي الأمر، وهذا ما كان يفرضه واجب الصداقة. وكان لزاماً على (البلاد) أن تكتب مثل هذا التوضيح في حينه. وهي فعلت ذلك ولكن بعد تأخير طويل. وأنا لم أهاجمه كما تقول بل إنني لاحظت أنه يقرن الوطنية بالإقليمية.. واعتبر زكي يماني رمزاً وطنياً؛ لأنه من منطقة معينة، واعتبر الهجوم عليه نوعاً من الخيانة للوطن؛ ولهذا أردت أن أصحح له هذا المفهوم، ولم أكن أنا الوحيد الذي لاحظ عليه نظرته الإقليمية الضيقة، بل لاحظ ذلك غير واحد، ومنهم الأخ قينان الغامدي الذي استغرب نشر صحيفة (البلاد) لمثل هذا الموضوع .

- **بعيداً عن الإقليمية الضيقة والمقيتة. اسمح لي هنا أستاذ عابد أن أناقشك بعيداً عن الجفري. أحمد زكي يماني خدم وطنه في عدة مناسبات دولية انطلاقاً من منصبه وزيراً للبترول، وكان اسمه على كل الألسنة. وأستحضر ونحن أطفال كنا نمر بجوار قصره في الهدا ونصخب باسمه، دليلاً في ترسّخه كرمز وطني حتى في وجدان الطفل آنذاك. وتأتي بجرة قلم تجرده من كارزميته تلك!!**

- هناك كثيرون خدموا أوطانهم، مثلاً تشرشل الذي قاد بريطانيا إلى أعظم نصر في تاريخها ومع ذلك أسقطه الشعب في الانتخابات عام ١٩٤٦ قائلاً له : لقد أديت دورك، والآن نحتاج إلى قيادة جديدة، وكيسنجر حقق شهرة فاقت شهرة زكي يماني، وأقام علاقات مع الصين، وحل مشكلة فيتنام، وفك الاشتباك بين

مصر وإسرائيل، وكانت له كاريزما أكثر من زكي يماني، وعندما خرج من الوزارة أصبح مواطناً عادياً، ولم يقل أحد في أمريكا أنه رمز وطني، يا أخي إذا كان أحمد زكي يماني رمزاً وطنياً فماذا تسمي مانديلا؟ ومع احترامي ليماني، انه إنسان مثقف بلا شك ولكن ما هي المواقف الوطنية التي اتخذها لنتخذه رمزاً؟.

ويبدو أننا هنا في العالم العربي مغرمون بالارتفاع بالوزير أو السياسي إلى مرتبة الصنمية مما يذكرني ببيت عمر أبو ريشة:

وطني كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم

❁ **إذن أنت ما تزال على رأيك فيه. وأن وزير بترولنا السابق أحمد زكي يماني ليس أكثر من موظف بدرجة وزير؟**

- نعم مثله مثل غيره.

❁ **ربما مبرراتك هنا في مسألة الموظف تنسحب على وزراء آخرين كوزيرنا القصيبي مثلاً؟**

- نعم. ولكن دعني أوضح وجهة نظري، يا أخي، اليماني والقصيبي ينتميان إلى وطن واحد، وأعترف أن كليهما مثقف واسع الثقافة، وأنا لا أفرق في تقديري وملاحظاتي بين نجدي أو حجازي، وكانت لي ملاحظات عديدة على وزراء من غير الحجاز .

صالح أمبا أساس القضية

❁ **اعذرني هنا. طالما أن المشاعر الأخوية الفياضة انطلقت منك لتغمر بها صديقك صالح أمبا رحمه الله وأنت دافعت عنه من وحي صداقتك ووفائك، لكن السؤال الملحّ هنا: لماذا لم تظهر هذه الكتابة قبل ذلك .. أي قبل تصريح أحمد زكي يماني؟**

- لأن أحدا لم يهاجم صالح أمبا من قبل. وبالنسبة لي كنت بدأت الكتابة عن صالح أمبا فعلاً خلال مذكراتي التي أدونها حالياً. لقد سكنا مع بعضنا في بيت واحد. وفي نيتي أن أطبع هذه المذكرات قريباً.

❁ حدثنا عن هذه الصداقة التي جمعت بينكما أنت وصالح أمبا. هل هناك بصراحة شديدة فكر واحد جمعكما ؟

- لقد سكنا سوياً في القاهرة وجمعت بيننا الأفكار نفسها .. استطعت أن أحقق جزءاً من طموحاتي وهو استطاع تحقيق الكثير من طموحاته.. هو الذي أسس كلية البترول والمعادن بالشرق الأوسط.. وأعتقد أن الوزير يماني هو صاحب فكرة الكلية لكن دور الوزير يقف عند هذا الحد. أما التنفيذ وجلب الأساتذة وتحديد المناهج والاتفاق مع الجامعات في الخارج كل ذلك فعله صالح أمبا. ما حدث أن زكي يماني في حديثه عن الكلية لم يتطرق إلى صالح أمبا إطلاقاً ونسب كل ذلك لنفسه. وما قلته أنا هو تصحيح لهذا الادعاء، حيث إن صالحاً هو من فعل ذلك وليس الوزير. واعترف هو بذلك في المقال التالي، ولكنه قال إنه اشتغل مع صالح أمبا في التجارة وهذا غير صحيح.

❁ ذكرت في مقالك أيضاً أن عبدالله أبو السمح ساهم أيضاً في إنشاء الكلية، وهذه المعلومة تبدو جديدة جداً للناس؟

- نعم عبدالله أبوالسمح ساهم في الإنشاء وكان قبل أمبا.. وتسلمها منه صالح، ولعلي أضيف شيئاً هنا عن زكي يماني. فهو طالما يعتبر أمبا بريئاً، وأن علاقته - أي اليماني - بفيصل قوية، فلماذا لم يشهد بأنه بريء، خاصة وأنه يعرف أن من يكتم الشهادة آثم قلبه .

❁ هناك حديث سبق وقاله الأستاذ محمد سعيد طيب أكد فيه أن زكي يماني تدخل من أجل إطلاق سراح الجميع..

- لا .. هذا لم يحدث أبداً ؟ الذي أخرجهم هو الملك خالد رحمه الله، وإذا كان اليماني كما يقول الطيب قد تدخل لإخراجهم، فلماذا لم يفعل ذلك منذ البداية وترك الرجل مسجوناً مدة ثلاث سنوات.

❁ **في إحدى الثلوثيات الأخيرة تناول فيها بعض الحضور هذا الكلام أيضاً، وقالوا: إن ثمة خيطاً مفقوداً فيها، سأكون أميناً في النقل وصريحاً في السؤال: هل صحيح أن زوجة صالح أمبا هي من أوحت لعابد خزندار أن يكتب ويدافع ويتداخل بهذه الصورة. إلى أي درجة يبدو هذا الكلام صحيحاً؟**

- أرملة صالح أمبا كانت في فترة عدتها ولم تتصل بي، وعلى من ادعى ذلك أن يأتي بأربعة شهداء.

هل للعمر دور فيما يحدث ؟

❁ **هنا أستاذ عابد.. اسمح لصوت من جيل تال لكم أن يفصح عما اعتوره من حيرة عبر هذا السؤال : بالرغم من تبشيركم بالرأي والرأي الآخر نجد أنكم، كتابنا الكبار ومثقفينا الغرر أول من يضيق بالرأي الآخر، وما نشهده من ترادحات بينك وبين الجفري، وبينك وبين الغذامي والهويمل قبلاً يجعلنا في حيرة حقيقية .لا أدري هل هذا الأمر طبيعي أم ماذا ؟**

- أنا لم أرد على الجفري مع أنه كتب مقالين يهاجمني فيهما، ومع الأسف كان هجومه مليئاً بالكلمات التي تنقض الوضوء عند المسلمين، وهذا دليل على التخلف الفكري، ودليل على افتقاره إلى حجة يرد بها علي، إذ إن من لديه حجة لا يلجأ إلى السباب. الجفري في هذا يمثل ظاهرة منتشرة في عالمنا العربي، إذ إن أي سجال يتحول بعد فترة إلى اتهامات بالعمالة والخيانة. . وستلاحظ ذلك حين يرد على كلامي هذا، وهذا لن يضيرني، فأنا دائماً أقول لمن تعودوا أن

يرشقوا بيوت الآخرين بالحجارة : تعالوا وارشقوا حجارتكم فبيتي ليس من زجاج .

❁ **أنت تنفي الرد عليه هنا. ولكني أجادلك بأنك كتبت في إحدى مقالاتك: لقد جبن عن ذكر اسمي، وختمت مقالك الشهير: انه الجفري . فكيف لم ترد عليه ؟**

- نعم هذا صحيح .. كان ذلك رداً صغيراً .. ولولا أنه خلط بين الإقليمية والوطنية لما رددت عليه، وهو أمر خطير، خاصة وأن هناك في الوقت الحاضر أصواتاً في الكونجرس واللوبي الصهيوني تنادى بتقسيم المملكة، وأنا ألتمس له العذر فلربما لم يطلع على تلك الأصوات اليهودية.

❁ **اسمح لي أيضاً أن الأمر وصل بك إلى اتهامك إياه بأن موهبته ليست ذات شأن أو خطر في مقالك "ما الوطنية". وهذا لا يصح - في رأي كثير من محبيه - مع قامة ثقافية عريقة في ثقل الجفري؟**

- على أي حال الفيصل في ذلك هو كتبه، وهو قد حقق نجاحاً في البداية؛ لأنه قلّد غادة السمان، وكانت لها في ذلك الوقت شعبية فركب موجتها، وكانت غادة السمان مجرد موضة وانتهت، وهي قد أدركت ذلك وتوقفت عن الكتابة، وليت الجفري يدرك ذلك أيضاً. وأنا أريد أن أنصح الجفري وأطلب منه التوقف عن كتابة الأعمدة، فقد تجاوزه الزمن ونشأ جيل جديد من الكتاب مثل: حسين شبكشي وسعد الدوسري وداود الشريان وإدريس الدريس وعبدالله الفوزان يعالج مشاكل الوطن بروح جديدة وجرأة في الطرح يفتقر إليها الجفري، وهذا هو السبب الذي جعل صحيفة الحياة تطفشه، وهو يكتب الآن في صحيفة لا يقرؤها أحد، ولو توقفت هذه الصحيفة عن الصدور وهو ما سيحدث قريباً بالرغم من الجهود التي يبذلها الأخ محمد الخريجي فلن يجد صحيفة أخرى يكتب فيها .

❁ **وهل تعتبر أستاذ عابد مثل هذه المعارك مسألة صحية في ثقافتنا المحلية يمكن أن تضخ حيوية وحراكاً ثقافياً ؟**

- أنا لم أدخل معركة مع الجفري.. بل أردت أن أصحح له مفهومه الخاطئ عن الوطنية. وصدقني أنه لا توجد أي عداوة بيني وبينه، وأنا لا أحمل في نفسي أي ضغينة على من دخلت معهم في سجال. وأذكر أن منصور الحازمي عندما زار جدة لاقاني به محمد سعيد طيب وتعانقنا، حتى أنت يا أخ عبدالعزيز كنت موجوداً في تلك الثلوثية. الأمر نفسه تكرر مع حسن الهويمل وهنأته قبل سنتين بالعيد ولم أحمل له في نفسي شيئاً، وذلك حدث أيضاً مع الغذامي الذي هنأته عندما فاز بجائزة العويس واتصلت به قبل مدة لأهنئه بجائزة الفكر ولكن تليفونه لم يرد علي، وهذه فرصة لأن أهنئه بها، وأعتبر هذه الجائزة جائزة لنا جميعاً نحن المثقفين السعوديين .

❁ **جميل منك ما تقدم، ودعني بروح الصحفي أجيّر ما قلت آنفاً وأسأل : هل سنشهد كوسط ثقافي صلحاً مع عبدالله الجفري، سيما أنه قال في ذات الثلوثية بالنص : ليس بيني وبين عابد خزندار أي شيء. وذكر أن عكاظ نشرت مقالته بطريقة بها بعض الانتهازية .**

- ومع ذلك فإنني أعتب عليه لأنه لم يكلمني ويقول لي أنت لست المعني بهذا الكلام يا عابد، كان الوضع سيكون مختلفاً حينئذ، وعلى أية حال صدقني إذا قلت لك إنني لا أحمل للرجل إلا كل المحبة، والعمر أقصر من أن نضيعه في العداوات، و الجفري أدى دوره وعليه الآن أن يسلم الراية لغيره.

القضية الأبدية : المرأة

❁ **أنت دائم الدعوة إلى إنصاف المرأة و إعطائها الفرصة الحقيقية لإثبات وجودها ودورها الحيوي في نسيج المجتمع، على اعتبار أنها تمثل نصفه على الأقل. ونعلم أن السيدة حرمكم أختنا شمس خزندار هي أول سيدة سعودية تتولى وظيفياً رئاسة القسم النسائي في الصحافة السعودية. فإلى أي درجة تأثرت بزوجتك في هذا السياق؟ وهل كانت لها بعض الرؤية في توجهك أنت عابد خزندار الفكري والثقافي؟**

- بالتأكيد لديها دور محوري في مسيرتي؛ وذلك عبر أمداء كثيرة منها: توفير تلك المنطقة الجيدة والمحرضة على التثقف. ثم إن زوجتي هي أول من يقرأ مقالاتي و أحياناً تقوم بتنقيحها.

❁ **وإذ فتحنا موضوع المرأة معك، كيف ترى وضع المرأة - بصراحتك المعهودة أستاذ عابد - في مجتمعنا السعودي .لا يخفى عليك أن الإعلام الغربي ومنظمات حقوق الإنسان والمرأة تزايد علينا في قضيتها. كيف ترى الأمر؟**

- وضع المرأة في بلادنا ما زال دون المستوى المطلوب، فليس هناك مساواة حقيقية بين المرأة والرجل. وخاصة في مجال العمل وعموماً نجد أن الراتب الذي تتقاضاه المعلمات أقل من الراتب الذي يتقاضاه المعلمون.، وهذا مخالف لتعاليم الإسلام ومخالف لحقوق الإنسان، والإسلام ساوى بين المرأة والرجل في التكاليف، وساوى بينهما في الجزاء، ثم إن معظم المعلمات يعملن على البند رقم ١٠٥ ولا يتمتعن بإجازة حمل، وهذا أيضاً مخالف لحقوق الإنسان، ثم إن هناك مجالات كثيرة يمكن أن تعمل فيها المرأة كأعمال السكرتارية والأرشيف يعمل فيها وافدون، وهناك قيادة السيارات، وأنا لا أجد أي مبرر لعدم السماح للمرأة بقيادة السيارات، خاصة وأن ركوبها في السيارة مع سائق أجنبي غير شرعي،

كما أن ركوبها في الليموزين مع سائق لا تعرفه غير مشروع إلا للضرورة القصوى، وأخيراً يجب أن يصدر نظام يحدد نفقة المرأة المطلقة ويكون إجبارياً بالنسبة للزوج، وهنا أيضاً مشكلة راتب تقاعد المرأة المطلقة، وهذه لم تحل حتى الآن، ثم إن هناك وظائف كثيرة في جهاز تعليم البنات يجب أن يشغلها نساء بما في ذلك منصب نائب وزير المعارف لشؤون تعليم البنات، كما إن الأوان قد آن لتعيين كاتبات عدل تتولى أمور النساء.

❁ **هل توافق على ما يقوله كثيرون بأن وضع المرأة لدينا هي تقاليد اجتماعية وقبلية متوارثة أكثر منها تعاليم إسلامية ونحن متواطئون كمجتمع وأفراد على إخفاء ذلك؟**

- هذا صحيح، وأساس المشكلة أننا أسرفنا في استخدام قاعدة سد الذرائع استخداماً جائراً، ونحن فعلاً متواطئون كمجتمع على إخفاء ذلك .

❁ **إذن كيف ترى المخرج أستاذ عابد في المواءمة بين تلكم التقاليد وتعاليم الإسلام. دعني أكون أكثر صراحة، الانتقالة من الوضعية القديمة إلى وضعيات جديدة أفضل مع مراعاة الخصوصية الشديدة أو الحساسية المجتمعية بتعبير أدق، بحيث لا نفجع في ارتدادة عنيفة لا يحتملها الظرف السياسي ولا المجتمعي ؟**

- يجب إلغاء أي تقاليد تتعارض مع تعاليم الإسلام، خاصة إذا وردت هذه التعاليم في نصوص، وأي تحريم يتعلق بأمر يخص المرأة يجب أن يكون بنص فالله وليس نحن الذي يحلل ويحرم .

❁ **يا أستاذنا، اسمح لي بالقول بأن الخيارات التي تطرحونها للمرأة، أنت وثلة من جيلك لا تستحضر الواقع السعودي بامتداده الجغرافي. معارضوكم من التيار المحافظ يرون أنكم تظنون بأن السعودية هي جدة فقط أو الحيز الضيق الذي**

تتحركون فيه. وهذا خلل في الرؤية يباعد بينكم وبين الحلول العملية المعقولة. كيف تعلق ؟

- قد تكون لكل منطقة تقاليدها، ولكن هذه التقاليد يجب ألا تتعارض مع تعاليم الإسلام، وأنا عملت فترة في وزارة الزراعة، وكنت أرى المرأة تعمل في الحقل وترعى الأغنام وتعمل في سوق الخضروات والفواكه وتقود السيارة أيضاً عندما انتشرت الوانيتات في البادية. أي أن المرأة في البادية كانت تتمتع بحقوق أكثر من نظيرتها في المدن .

❁ **اسمح لي بالقراءة الواقعية هنا. دعوتكم للتحرر الاجتماعي بدأت منذ عشرات السنين، لكن واقع الآن يشي بكثير من السخرية بأنكم لم تنجزوا شيئاً على الرغم من كل المواقع الإعلامية وغيرها التي تطلون منها. المجتمع اتجه إلى مزيد من المحافظة. وأمثلة كثيرة تؤيد ما أقول وليس أقلها الموقف من مظاهرة بعض النسوة لقيادة السيارة ؟**

- هذا ليس صحيحاً وزوجتي كانت تشرف على صفحة المرأة في جريدة الرياض، وكانت هناك موضوعات كثيرة لا تستطيع أن تتحدث عنها، وصديقي الجهيمان سجن لأنه نشر مقالاً في صحيفة أخبار الظهران عن تعليم المرأة، وأنا طالبت قبل عامين بإعطاء المرأة بطاقة أحوال شخصية فلم ينشر المقال، وصحيح أننا لم ننجز الكثير والسبب وجود فئة في المجتمع تقف عقبة أمام إعطاء المرأة حقوقها المشروعة، ودعني اسميها فئة سد الذرائع.

❁ **هنا أستاذ عابد دعني بصراحة شديدة أضع يدي على مكان الجرح بلا مواربة أو مداهنة؛ كثيرون ومنهم تلك الفئة التي ذكرت لا يرون لكم تمثيلاً اجتماعياً محلياً مستحقاً. أنتم لا تقيمون في السعودية إلا لترحلوا، واختياراتكم التعليمية والاجتماعية لأبنائكم خارج حدود الوطن في الغالب.. وحتى لا أبقى**

في العموميات دعني أكتسب من صراحتك شيئاً وأقول: أنت عابد خزندار لك ابنتان تدرسان وتعيشان في باريس. ومكثت فترة لا بأس فيها هناك. ثم تأتي وتقدم حلولاً لمشاكل مجتمعنا المحلي . كيف نتقبل منكم ذلك ؟

- ابنتاي تعلمتا في البداية في السعودية، وحصلتا على التوجيهية منها، ثم درستا في الخارج في تخصصات غير موجودة في السعودية، وابنتي الكبرى الآن تعمل نائبة مدير قسم في معهد العالم العربي، وهي المرأة السعودية الوحيدة التي تعمل في مؤسسة ثقافية، أما ابنتي الصغرى فتحضر رسالة للدكتوراة في جامعة السربون عن تاريخ المدن الإسلامية، وقد اختارت مدينة مكة وهي الآن تتنقل بين مكة المكرمة وباريس، وهي تعيش مع أختها، أما أنا فأذهب إلى باريس لأجدد ثقافتي وأيضاً للعلاج الذي لا يتاح لي هنا، ثم إن العلاج في باريس أرخص من هنا.

المبادئ ..المبادئ

❁ **لنترك موضوع المرأة وندعو لابنتيك بالتوفيق ولك بالصحة والعافية، وأختتم معك هذا الجزء بسؤال ما يزال يتلجلج في نفسي مذ بدأت معك المكاشفات: الآن في هذه السن بالذات، كيف يطل عابد خزندار على ماضي أيامه وأين يجد نفسه فكرياً في واقع الحال الذي نحيا.. هل ما تزال هناك بقايا من (قومية) ترابط لديها.. أو (يسارية) ذات بعد إنساني تستدعيك للاستعصام بمبادئها.. أم أن تلك أزمنة مضت وذهبت بذهاب الشباب وعنفوانه؟**

- أنا مازلت على حالي. مؤمناً بكل المبادئ التي اخترتها لنفسي أو اختارتني. حتى إني مازلت أتعرض للمضايقات كالتوقف عن الكتابة مثلاً، على أن كلمة اليسارية كلمة فضفاضة، وإذا كنت تقصد الأيدولوجية اليسارية فهذه انتهت

ونحن نعيش كما قلت في عصر ما بعد الأيدلوجيا، أما القومية فأنا أؤمن بالوحدة العربية، ومع الأسف هناك أناس في بلادنا كانوا قوميين وأصبحوا الآن إقليميين لا يؤمنون حتى بوحدة الوطن السعودي .

❁ **ولكن يبدو في كثير من الأحيان أن من لم يتغير يوصف بالجمود.. كما أن هناك أفكاراً يندفع إليها المرء في مرحلة قد تكون طائشة من عمره لكنه يستدرك ذلك مع امتداد العمر وتكوين تلك المساحة اللائقة التي تسمح للإنسان أن يراجع معها تاريخه لتنقيته من شوائب عالقة بفعل الانبهار أو التسرع.. ألم ينتابك شيء من هذا القبيل على الإطلاق؟**

- المبادئ التي اخترتها واقتنعت بها هي مبادئ إنسانية عامة. لم أكن ناصرياً. وعلى أي حال وكما قلت لك فإن المبادئ التي آمنت بها ليست سيئة لكي أغربلها كلما مرت السنوات عليّ. إنها مبادئ إنسانية نظيفة شريفة وعادلة.

❁ **سيدي، ما دمت لست ناصرياً ولا ماركسياً كما اتهمك الجفري بزعمك. ما دمت قد ذكرت في جزء سابق من المكاشفة بأنك آمنت بشيء من اليسارية الفكرية المعتدلة. من أنت اليوم على وجه التحديد ؟**

- كتبي ومقالاتي هي الفيصل، فارجع إليها لتعرفني. وخير شاهد على المرء هو ما يكتبه ويعلنه على الناس. وتستطيع بالطبع أن تعرف من أنا من خلال هذه السطور التي تقرأها .

فقط من أجل تاريخ الجفري والخزندار*

بقلم د. عاصم حمدان

الابن العزيز عبد العزيز قاسم - ملحق الرسالة بصحيفة (المدينة) لقد اخترت هذه المرة أن أوجه رسالتي إليك على عكس ما يفعل الآخرون - وهم زملاء كرام - حيث يوجهون رسائلهم إلى الآخرين. ولقد اتهمت قدراتي الفكرية عندما لم أخرج بجديد من قراءة الرسائل التي وجهها الدكتور عوض القرني - مع احترامي له - في العدد الماضي.

إنني أشكر لملحقكم الأغر في الصحيفة التي تحمل اسم عاصمة الإسلام الأولى، وتتعانق مع ذلك الاسم العزيز القبة الخضراء الشامخة والعزيزة على النفوس المؤمنة والمطمئنة مع المنارة التي انطلق من مكانها نداء سيدنا بلال - رضي الله عنه - فشمل نداء الحق جميع أصقاع الدنيا، وظلت المدينة مأرز الإيمان على مر العصور.

إنني أشكر لكم عزيزي هذا الجهد المبارك وهذا التنوع في طرح الآراء من منطلق الإيمان بالآخر في زمن ابتليت فيه الأمة ببعض مظاهر التشدد من جميع التوجهات الفكرية دون استثناء، وحتى الذين دعوا إلى التغيير كانوا الأكثر نفياً للآخر وفكره.

وقد قرأت بكثير من الإعجاب مكاشفات الأستاذ والأديب عابد خزندار، وأذكر أنك فاتحتني بهذا الأمر وأبديت لك سروري بهذا الأمر، وبما أنه تربطني بالأديبين

* نشرت الرسالة بتأريخ ١٩ذي القعدة ١٤٢٣هـ في صحيفة المدينة ملحق الأربعاء.

الكبيرين السيد عبد الله جفري والأستاذ الخزندار روابط من الود الصادق، فإنني تأثرت كثيراً لجهة فتح ملف الخلاف الذي نشأ بين صديقين عزيزين، وأتذكر أنه عندما نشب الخلاف بين الأستاذ الخزندار ود. حسن الهويمل كتبت مقالاً في صحيفة (اقرأ) إبان حقبة الأستاذ محمد صادق دياب السابقة، وذكرت فيه منزلة الرجلين في مساحة الفكر في بلادنا وإن كنت أخذت على أستاذنا الهويمل شيئاً من الحدة، وقابلني الأستاذ خزندار في خميسية الأستاذ محمد عمر العامودي، وابتسم في وجهي ليقول: "لقد أنصفتني يا عاصم"، كما التقيت بعدها بالدكتور الهويمل في مؤتمر الأدباء الثاني في مكة المكرمة وقابلني بابتسامة ملئها الحب والتقدير، وعندما حاول البعض انتزاع ريادة الكتابة في النقد الثقافي كتبت في (الأربعاء) - غير مقلل من جهود الآخرين - بأن الأستاذ خزندار أول من كتب في هذا المنحى النقدي وعلى صفحات جريدة (الرياض).

أتعلم أيها الابن العزيز أننا بحاجة إلى من يرأب الصدع ويجمع الكلمة في الزمن الصعب على أمتنا، وليس لهذا الشقاق الذي أعلم أن الصحافة بعمومها تستثمره أحياناً لجذب القارئ، ولكن هل يكون هذا على حساب تدمير النفوس، وشق الصفوف، وزرع الألغام.

ولعلي أخالف الأستاذ الخزندار - والذي يعلم هو وأسرته أنني أكن له وداً واحتراماً كبيرين وأعترف بدوره الثقافي والفكري في العقدين الماضيين - نعم أخالفه، فالسيد الجفري لم يكن يوماً من دعاة الإقليمية، ولعل الصديقين حمد القاضي وخالد المالك يعرفان عن هذا الجانب أكثر مما أعرف، ويمكنهما أن يدليا برأييهما في هذا الموضوع، فكيف - يا بني - ويا أخي ويا زميلي ويا صديقي ندخل من خلال مثل هذا الكلام في دائرة لا تحمد عقباها وإن علمنا كيف بدايتها - وأن

الهوى في النفس يحركها - فإننا لن نتنبأ بنهايتها، وهل نرجع بأعقابنا إلى جاهلية دعانا سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه صلاة الله وسلامه إلى نبذها عندما قال: «دعوها فإنها منتنة» وخاطب أبا ذر الغفاري - رضي الله عنه - عندما انتقص من حق بلال بن رباح - رضي الله عنه - لقد خاطبه الحبيب صلى الله عليه وسلم بقوله: «إنك امرؤ فيك جاهلية» ولعل سعي البعض - وأنا لا أقصد هنا الملحق العزيز على نفسي والقائمين عليه من أبنائي - هو الذي دفع إلى المزيد من هذه الاتهامات التي نأمل أن تتوقف، ورفقاً أيها الزملاء الكرام في الساحة، وإنني هنا أخاطب الجميع من المنبر الصحفي الذي أرتبط به - ولله الحمد - منذ حوالي أربعة عقود من الزمن.

نعم ... إنني أخاطبهم قائلاً: رفقاً بقلب عبد الله جفري، والهوينى بزين ووالدتها الصبورة وأخوان زين وأخواتها، ورفقاً كذلك بتاريخ الأستاذ الخزندار وسنه، والهوينى كذلك بالمرأة العظيمة الحاضرة دوماً في حياته.

وإنصافاً لأبي هانئ و مي وفيصل وشرف، ورفقاً بنا نحن الذين وإن لم نشخ في دنيا الصحافة. فلقد أدركتنا الكهولة في حضرتها، ولقد زاد في القلوب وجيبها، وارتعشت الأقلام في أيدي عشاقها، وتثاقلت بنا الخطى في زمن - تحمد فيه السرعة في كل شيء - إلا أن تقودنا متهورين لشيء من الجحود والنكران.

كاتب وأديب سعودي

من المحبرة

بقلم : علي محمد حسون*

تصاب بالحيرة والأسف ويأخذك الألم كل مأخذ عندما تفاجأ بذلك السيل من الكلام الذي أصبح نوعاً من "الهذر"، وهو يذكرني بمقولة شيخ الأغوات في المدينة المنورة عندما يسمع كلاماً لا يعجبه يقول في تأفف "ارمِ في بحر".

هذا الكلام الذي يلقى على "عواهنه" من النوع الذي يجب أن نرميه في البحر. ولكن لا بد أن نتساءل لماذا يتحول البعض إلى (رداحين).

هل هناك ضغوط نفسية تجعلهم هكذا؟

أم أن هناك في النفس ما فيها تنتظر اللحظة لتنفجر؟

أم هناك أمور لا نعرفها تجعلهم أكثر انفلاتاً؟ لكن السؤال الأهم والأكبر هو كيف تسمح صحيفة لنفسها أن تعطي آخر الفرصة (للنيل) من زميلة لها مع علمها أن في ذلك إضراراً بتلك الزميلة مادياً ومعنوياً، وهو ما يعرض الصحيفة الناشرة للمساومة بل ودفع تعويض، لأن فيه مساساً بأخلاقيات المهنة من جهة وفيه إضرار لسمعة تلك المطبوعة.

والبلاد .. "وهذا كلام الزميل الذي أجرى الحوار وسمح لنفسه بنشر ما نشر" .. البلاد هذا التاريخ الطويل العميق الجذور في حياتنا وحياة هذه الأرض منذ أكثر من سبعين عاماً وأكثر من ذلك باسمها (صوت الحجاز) كانت منبراً مشعاً في هذا

* نشرت المقالة بتاريخ ١٦ ذي القعدة ١٤٢٣هـ بصحيفة البلاد.

المجتمع الكريم قبل أن يكون للآخرين جذور في هذه الأرض، فإن مرت بالبلاد ظروف تعرية بفعل تقادم الزمن، فإن ما يجري فيها الآن من عمل دؤوب وجهود يعرفها القريبون منها، فإنها ستنبت من بين هذا الركام الذي وجدت نفسها فيه بهذه الروح وبتلك الفعالية التي يعطيها إياها صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز، فيعرف أولئك الذين تأخذهم نشوة "الإثارة" أن ذلك الأسلوب قد ولى زمنه، وأنه أصبح من زمن قد عفا عليه الدهر؛ لأنه كان خلف تخلفنا وتقهقرنا منذ بدايات التاريخ، فهذا الكلام أو كش التراب هو ما يقوم به من يعشقون إشعال الفتن ليس إلا.

رئيس تحرير صحيفة "البلاد" المكلف

"عابد خزندار" سقط في لعبة خلط الأوراق في هجومه على "الجفري" "البلاد" صرح لن يهدمه من يقذفونها بالحجارة؛ لأن جذورها راسخة

بقلم : يوسف الرفاعي*

أثارت مكاشفة الزميل الصحفي عبد العزيز قاسم في ملحق (الرسالة) يوم الجمعة الماضية غضبي وحيرتي، واستفزتني للكتابة بصورة لا أعرف أسبابها، أو ربما عرفت أسبابها ولكن لا زلت في مرحلة التفاعل التي تستفز أي قلم متزن للكتابة.

وعجبت كثيراً لأن يفرد ملحق (الرسالة) المميز بتوازنه وعمق مادته كل هذه المساحة للهجوم على جريدة "البلاد" ورموزها الصحفية التي لا ينكر فضلها عاقل، ولا يتجاوزها إلا إنسان فقد السيطرة على قلمه وخانته تعبيراته.

ولا ألوم الزميل عبدالعزيز قاسم على هذه المكاشفة مع عابد خزندار، إن نظرنا إلى أن هدفه الظاهر هو تصيّد المواضيع المثيرة التي يعرف كيف يحبكها ليصنع منها "قنبلة صحفية" من آن لآخر، هو صحفي محترف ولا خلاف على ذلك، وربما استطاع أن يظهر في هذه المكاشفة أكثر ذكاءً من ضيفه الذي سنفند في هذه المكاشفة بعضاً من أقواله المحزنة والمستفزة.

فالواضح أن عبدالعزيز قاسم استطاع أن يحفر للخزندار حفرة بعمق صفحتين في ملحق (الرسالة)، ويبدو أنه سيبقى زمناً حبيساً لتلك الحفرة التي ستأخذ الكثير

* نشرت المداخلة ١٦ بتاريخ ذي القعدة ١٤٢٣هـ بصحيفة البلاد.

من زمنه وشعبيته نتيجة للأخطاء الفادحة التي وقع فيها بفعل أسئلة عبد العزيز قاسم الذكية.

وأول ما يتبادر لذهن القارئ العادي، ولن أقول لذهن المتابع لمشاكسات الأستاذ عابد والأستاذ عبد الله الجفري ثلاثة أشياء بارزة وبعض الأمور الفرعية التي لن يخطئها عقلٌ منصف، ولا يجب أن يتجاوزها أي إنسان ينتمي لمهنة الصحافة والكتابة عموماً.

ولعل أول هذه الأشياء الثلاثة هو أن خزندار تجاوز حدود النقد منذ البداية بانتهاجه أسلوباً ساخناً لدرجة الالتهاب حين حاول النيل من بعض رموز هذه البلاد وفي مقدمتهم الأستاذ أحمد زكي يماني .. والواقع أن اختلافه الشخصي أو المهني مع هذا الرجل أو حتى اختلافه حول وقائع تاريخية وأحداث كان من المفروض أن يأتي على المستوى الذي يتوقعه القارئ من كاتب مثل خزندار، لا على النحو الذي فاجأ به قراءه، من حيث التركيبة اللغوية أو من حيث الهدف من الكلمات الساخنة التي ملأت خطابه الفكري في معركته مع الأستاذ عبد الله الجفري.

القارئ اليوم لا يعرف السب والهجوم الجارح على أي إنسان؛ لأنه قارئ مثقف لا يهدف من وراء القراءة سوى استشراف الحقيقة وليس التندر بالكلمات الجارحة والأفكار الجوفاء أو الهجوم الجارح الذي أصبح مثار جدال في بعض المجالس واللقاءات، قارئ اليوم يحتاج إلى معلومة لا إلى رأي؛ لأن عهد الحداثة الذي ربما ينتمي له الأستاذ خزندار انتهى فعلياً وأصبح السائد الآن عصر تقنية المعلومات. حيث يجب أن تُقدَّم المعلومة نقية من كل رأي وخالية من الدوافع الذاتية.

ولعل خزندار أضاع كثيراً من وقته ووقت القارئ في تكرار آرائه التي تسير على وتيرة واحدة، ويعتبرها بعض قرائه آراء ساخنة أو أفكاراً غير تقليدية، وتكشف

الهجمات المتوالية للخزندار عبر الصحف حقيقة مهمة جداً، وهي أن النقد اليوم يُساء فهمه ويُساء طرحه وتبيان منطقه، وتحول هذا النقد في يد من لا يجيده خنجراً مسموماً يقتل من الطعنة الأولى. ونسي بعض هؤلاء أن للنقد أصوله، وأن للمعارك الصحفية أصولها، ولسنا هنا لنذكِّر الخزندار بها؛ لأنه مؤكد يعلمها وهو الكاتب المخضرم، ولكن تساؤلنا هنا هو إن كان يعلم تلك الأصول فلماذا لا يطبقها؟

أما النقطة الثانية فهي هجومه الشخصي والعنيف جداً على الأستاذ عبد الله الجفري، وكلنا يعلم من هو الجفري، وكثير منا لا يحتاج إلى تعريف بهذا الكاتب الذي لا يُشق له غبار. وكلنا بالطبع - كصحفيين - ندرك ثقل الجفري وعمق أفكاره ورشاقة أسلوبه، ويحاول كثير منا أن يعتنق ذلك الأسلوب في طرح الفكرة والدفاع عنها.

أعتقد أن الأستاذ الجفري يثير غضب البعض وأحقادهم؛ لأنه يمسك بناصية قلم يفهمه ويخلص له، وربما لن يدرك سر إبداع الجفري سوى قلمه الذي رافقه رحلة الكفاح الطويلة في الصف الأمامي من العمل الصحفي، وهذا القلم ذاته هو الذي قاده إلى قلوب الناس.

والجفري الذي يتعرض اليوم (لرياح الخماسين) التي ينفخها البعض من حوله محاولين إخفاء إنجازه وقتل مشواره الطويل مع الكلمة ومعاناتها هو نفسه الذي يقف دوماً شامخاً كالنخيل المثمر، وهو ذاته الذي يحمل على كتفيه وبين دفتي أوراقه قافلة القراء الذين يسترشدون بفكره ويرحلون ويرتحلون من خلفه أينما ذهب.

والمؤسف أن موقف جريدة (الحياة) - وهي من الصحف العريقة - تجاه الجفري أصبح يُستغل اليوم كالوقود في تلك الحرب الدائرة بين الخزندار والجفري، وكأن كل موقف أو اختلاف في الرؤية بين جريدة وكاتب يُعتبر سُبة في جبين الكاتب

وسابقة إجرامية تدين ملفه الصحفي، أو هي كالممحاة التي يظن البعض أنها تمحو سطور المعاناة التي سطرها الجفري بفكره، وسقاها من دمه وكفاحه، وعاشت على إمدادات مشاعره التي تحترق لتضيء لقرائه.

وكم من كاتب ترك صحيفة فلم ينتقص ذلك من مكانته أو مكانتها أي شيء، والمثل العربي يقول: "اختلاف الآراء لا يفسد للود قضية"، ولكن البعض يعشق تحطيم الآخرين لذنب لم يقترفوه، وأطالب من هنا زميلتنا جريدة (الحياة) أن تعلنها واضحة وتقوم بتكريم الأستاذ الجفري الذي ساهم في نجاحها، وأن ترد لهذا الرجل بعض الجميل الذي قدمه لها؛ لأن كلمات الجفري لا يجب أن تُقاس كما يحلو للبعض بما يدفع فيها من مقابل، ولن أطيل في مدحه ولكن هذه هي الحقيقة.

وما يثير التساؤل هو أن يدعو خزندار الأستاذ الجفري لأن يتوقف عن الكتابة؛ لأن الزمن قد تجاوزه، ولن أتوقف كثيراً عند هذا القول لأن الأستاذ خزندار يعلم أن الزمن لا يتجاوز أحداً بحجم (الجفري) بل يطيل به المقام عنده، وليس معنى أنه يميل إلى الرومانسية أن نسمه أن الزمن تجاوزه لمجرد أنه لا يسب أحداً، ولا يطلق العنان لقاموس الألفاظ الساخنة لتلفح وجوه الناس، وأعتقد أن أسلوب الجفري يؤدي الغرض تماماً، وكلنا يعلم أن الأسلوب الهادئ وغير المباشر هو أسلوب الكبار. وأن الرعونة في الرد والكتابة ليست دليلاً على الواقعية، ولا هي دليل على التمكن من أدوات الكتابة.

وفي كل عصر كان الكاتب الرومانسي يتعايش مع الكاتب الواقعي، وكان الأسلوب الأدبي المتزن يتعايش مع الأسلوب العامي أو الشعبي، ولا أدري كيف فات ذلك الأمر على الأستاذ خزندار؟

وسؤالي على هامش ذلك القول هو لماذا كل هذا الهجوم على الجفري، هل لأنه أراد الدفاع عن رجل قدير اعتبره رمزاً من رموز الوطن؟ وماذا في جعبة خزندار كي يثبت أن أحمد زكي يماني ليس من رموز الوطن؟ وما علاقة مانديلا بالمملكة العربية السعودية ؟ وما وجه المقارنة بين مانديلا وأحمد زكي يماني؟ كلها تساؤلات تحتاج إلى إجابة، ولكن الأستاذ خزندار لم يطرح إجابة لها بعد.

وإذا انتقلنا إلى الملحوظة الثالثة على تصريحات خزندار للزميل عبد العزيز قاسم سنجد أن أكثرها إيلاماً هي ما تعرض به لصحيفة عريقة مثل صحيفة (البلاد) وقوله دون جرأة ودون تفكير أن البلاد ستقفل أبوابها عاجلاً أم آجلاً، وأن أحداً لا يقرأ (البلاد).

وأريد أن أستوقف الأستاذ خزندار لبعض الوقت، لأسأله لماذا جرفه عداؤه للأستاذ الجفري إلى النيل من جريدة (البلاد) التي ولدت قبله، ولماذا التطاول على ذلك الرمز الصحفي الذي أصبح عرضة لأقلام البعض ليوجعوا بها ذلك الجسد ويحاولوا التفكير للآراء السلبية عن جريدة (البلاد) التي يعلم تاريخها ويدرك أن صرحاً شامخاً لا يسقط بهذه السهولة، وأن لا فائدة من قذف جبل بالحجارة.

لا أقول ذلك لأنني أنتمي إلى (البلاد) فقط، بل أقولها لأن الأستاذ خزندار فيما يبدو لا يملك ما يهاجم به الأستاذ الجفري فأخذ يحشد ما استطاع من نافلة القول، ليهاجمه تارة؛ لأنه ترك (الحياة) وتارة لأنه يكتب في (البلاد).

وإذا كان يحذر الجفري بأن يبحث له عن عمل في مكان آخر فهو لا يعلم طبيعة هذه الجريدة الرائدة، ولا هو يدرك حجم انتماء منسوبيها إليها، فالمعاناة هي التي صنعت تلك الكفاءات التي تديرها، وبقاء الأستاذ الجفري فيها لا يختلف كثيراً عن أهمية الحبر لورق الصحف، ولا عن أهمية الكهرباء لتشغيل منجزات التقنية.

والأستاذ الجفري يستحق التقدير ليس فقط لأنه يكتب بعقلانية متزنة وروحانية متدفقة، وإنما لأنه رفض أن يفارق (البلاد) محبوبته، مع العلم أنه لا يخفى عليه حالها المالي.

ونقول للأستاذ خزندار: إن تعثر الصحف أمر وارد وإن هي إلا فترات تمر بها جميع المطبوعات، وليتذكر خزندار التجربة الصعبة التي مرت بها كثير من الصحف، محلية وعربية بل وعالمية، واستطاعت صحف محلية أن تطور ذاتها، وهذا التطوير سيأتي لا محالة بشمس جديدة لتضيء (البلاد) من جديد، وإذا كان هو يقول عن (البلاد) إنها لا تُقرأ فليرد عليه قراء (البلاد) ومنسوبوها الذين يعلمون أنهم يكتبون أرقى الكلمات وعبر هذا المنبر الذي لن يخفت صوته حتى ولو تطاول عليه البعض.

وأخيراً أقول للأستاذ عبد العزيز قاسم، وهو زميل فاضل وعايشنا لحظات إبداعه وآلامه ونجاحاته، ونُقدِّر له جهوده، لقد نجحت في أن تُفجِّر قضية ستمنح ملحق (الرسالة) جذوراً أكثر صلابة، لكنك لم تخدم ضيفك بل قمت بتوريطه في مشكلة، وألقيت كرة النار في ملعبه، ولنسأل الله عز وجل أن يمنح ضيفك القدرة على تصحيح موقفه، وأن يطوي تلك الصفحة التي ستأخذ الكثير من شعبيته بكل تأكيد.

صحافي من أسرة "البلاد"

عابد خزندار في الجزء الثالث من مكاشفاته (٣-٤):

الحركة الحداثية السعودية مجرد فقاعة سرعان ما تبخرت ومعركتها زوبعة في فنجان

- كان مقلدو أدونيس لدينا كالمسخ وأساؤوا لحركة الحداثة بأكملها.
- كانت لي نشاطاتي الثقافية في باريس مع أدونيس وجورج طرابيشي وزياد دلول.
- كل الذين ركبوا موجة الحداثة المحلية لم يكونوا مثقفين باستثناء هؤلاء الثلاثة فقط.
- كتاب ألف ليلة وليلة هي واقعية سحرية و زاخرة بإعجاز سردي.
- لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعنى الكهنوتي.

بين يدي مكاشفات

" أزعم أنني متابع للصحافة السعودية منذ خمسين عاماً، وأؤكد أن الموضوع الذي تطرقتم إليه في مكاشفات العدد الماضي لم يُتطرق إليه في الصحافة السعودية على امتداد ذلك التأريخ. وكنتم أول صحيفة تتناول هذا الموضوع بهذه الصراحة ". تلك الشهادة أُدلقت على مسمعي من لدن أبي الشيماء الأستاذ محمد سعيد طيب حال مهاتفتي له يوم الجمعة الماضي. وإذ أكرمنا سعادته بهذه الشهادة التي تسجّل لـ (لرسالة)، لأستأذن قارئي الكريم وزملائي بأن أمضي في سرد جوابي لهذا الإعلامي المخضرم، الذي بادرته من فوري قائلا " إنّ الفارس الحقيقي - أستاذنا الكريم - بالإضافة إلى ضيفي هو الزميل الأخ عبدالله العمري الذي كان يعي جيداً مسؤوليته المهنية والوطنية وكان حقاً بحجمها.." .أحببت تسجيل ما مضى، كاعتراف

نشر اللقاء في يوم الجمعة ٢١ ذوالقعدة ١٤٢٣ هـ في ملحق الرسالة بصحيفة المدينة

بفضل العمري، وهو في تصوري حقّ يجب أن يُنسب إليه طالما أنّ تلك الحلقة من مكاشفات اقتعدت مكانها في تأريخ الصحافة السعودية بشهادة أبي الشيماء.

وأودّ التعرض في هذه المقدمة إلى أمر غاية في الأهمية من وحي تجربة شخصية، تتعلق في (أسطرة) وقائع وأحداث تلك الحقبة من تأريخنا السياسي المحلي. لا يتصور قارئي الكريم مدى الذهول الذي انتابني عندما صعقني ضيفي الخزندار بهدوئه المستفز بأنه لم يُمض في السجن سوى عامين كانا من أهدأ سني عمره، ولم يتعرض قط لأي تعذيب. ومحاوره المسكين أتى إليه وقد استقصى ما يقارب الشهرين عن ضيفه ليترسّب في روعه أنّ الرجل، ورفيق دربه الجهيمان، قد تعرضا للتعذيب وعوملا بوحشية بسبب أفكارهما الشيوعية (لاحظ ذلك). ومعلومات متداولة مهولة عن دور الجهاز السري. لا شك أنني صدمت لكل تلك المغالطات التأريخية التي تتشافه وتجوب المجالس والمنتديات الخاصة. ولا حلّ في رأيي إلا بما طرحته سابقاً في استنطاق المرحلة بشفافية مطلقة عبر رجالها الحقيقيين الذين عاشوها بدقائقها..

الأمر الآخر الذي بودي التوقف عنده، هو دور فضيلة الشيخ محمد بن جبير العظيم في تلك المرحلة.

وأزعم أنّ أجيالنا الجديدة لا تعرف عن الرجل سوى رئاسته لمجلس الشورى. وإذ بنا نفاجأ بأنه من تولى محاكمة الأفراد الذين أوقفوا. وقد أسبغ فضيلته عليهم من تسامحه وعدله وأريحيته رحمه الله. ضارباً أنموذجاً مشرّفاً للقاضي النزيه المنتمي للمؤسسة الدينية المحلية التي لطالما غُمزت من البعض. هاهو أبو الشيماء يكرمنا اليوم بشهادة تنمّ عن وفاء وخلق عظيم تجاه ذلكم القاضي الذي حاكمه. وكم كنا سنسعد لو تتالت الشهادات من قبل أولئكم الرجال الذين عاشوا تلك الأحداث،

كشهادة للمجتمع والتأريخ. وأختتم بدعوة لكل الذين ينقمون على مؤسسة القضاء المحلية بدعوتي لتأمل هذا التعامل العادل الرحيم لفضيلته إلى درجة نهره لأكبر ضابط أمام متهم مستضعف لا يملك حولاً ولا قوة في حاله تلك. وفي كل الأحوال لا أدّعي في المقابل العصمة فتلك بشرية تتقمّصنا جميعاً. غير أني أقصد هنا أن الموضوعية في النقد تحتّم الإشارة إلى هذه النماذج الرفيعة من علمائنا الكرام وقضاتنا الغرر من لدن أولئك الناقمين أو العاتبين..

رسالة خاصة :

الى أديبنا المربّي : د. عاصم حمدان

تبقى وما تزال أستاذاً في فن التعامل ودماثة الخلق. وإذ وهبتك "طيبة" من تسامحها وأريحيتها وطهرها - وحرمت آخرين فجعنا بهم - لأستأذنك أيهذا النبيل في بسط حجتي حيال عتابك الذي مرّرت - بأستاذية - عبر سطورك الشفيفة في العزيزة (الأربعاء) أول أمس، وثق أنّ عتاب "الوالد والأخ النصوح" قد وضعها ابنك في المكان الذي تحبّ. بيد أنك ستوافقني بأن إسباغ "الملائكية" هو نوع من التزوير وقلب الحقائق. وإذا تواطأنا كجيل، ومرّرنا ما يراد وما يملى ولم نوثق الحقائق التي تسطع كنور الشمس أمام أعيننا سنكون - وصدقني يا سيدي- أضحوكة للأجيال الجديدة ولتأريخنا المحلي..

أعد أستاذي ووالدي وأخي الشفيق قراءة الحلقة، وأعد قراءة الشخصيات التي استضافها تلميذك في كل مكاشفاته، وتمعّن أسلوبه، وأجبه بعدئذ بموضوعيتك المثلى التي لا تفارقك: هل هو الملوم حقاً في كل ذلك عندما تواطأ البعض ودفعوا برمي التهمة عليه!! خاصة أنه أقسم لك بعدم معرفته الخلفيات التي تحدثت عنها..

عبدالعزيز قاسم

❁ **استأنف معك أستاذ عابد، وأبدأ بسؤالك عن الفترة التي أعقبت خروجك من السجن. هل سافرت إلى فرنسا مباشرة ؟**

- قبل أن أجيب عن أسئلتك في هذه الحلقة أريد أن أندّد بالحملة التي تشنها صحيفة (البلاد) في هذه الأيام بالخلط بين الإقليمية الضيقة والوطنية بما في ذلك من تفرقة لأبناء الوطن، وخاصة في هذا الوقت الذي ترتفع فيه أصوات اللوبي اليهودي وبعض الكونجرس بالمطالبة بتقسيم المملكة، والأمر لا يقتصر على ذلك، بل إن القائم على إدارة التحرير يعرض ببعض أبناء الوطن حين يقول: "البلاد هذا التاريخ الطويل العميق الجذور في حياتنا وحياة هذه الأرض منذ أكثر من سبعين عاماً وأكثر من ذلك باسمها " صوت الحجاز " كانت منبراً مشعاً في هذا المجتمع قبل أن يكون للآخرين جذور في هذه الأرض " (البلاد العدد الصادر في ١٦ ذي القعدة ١٤٢٣ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٣) ومن الواضح أنه يعرض بالأخ عبد العزيز قاسم؛ لأن أصوله تعود إلى بلاد بخارى، وليس ذلك فحسب بل يعتبر سكان مكة المكرمة مواطنين من الدرجة الثانية؛ لأنهم من أصل جاوي أو هندي أو فارسي؛ فهذه عصبية جاهلية ونعرة كنا نحسب أنها قد انتهت بعد أن مرت سبعون عاماً على وحدة الوطن؛ ولهذا يجب أن نعمل جميعاً على أن تخرس هذه النغمة الممجوجة التي تفرق بين أبناء الوطن وتزرع الفتنة فيهم .

وعودة إلى سؤالك فأقول : لا، لم أذهب إلى فرنسا، كان ذلك بعد تسع سنوات من خروجي، هذا هو الجانب المظلم في حياتي. كنت معطلاً في البداية، ثم اشتغلت مع والدي في المكتبة. بعد ذلك سمحوا لي بالسفر عام ٧٤ فغادرت إلى باريس والتحقت بالجامعة الأمريكية هناك لدراسة الأدب الفرنسي.

❁ أشكر لك غيرتك الوطنية ولا تعليق البتة من جهتي على ما صدر. فنحن أكبر أستاذ عابد من أن نلغ في عنصريات تجاوزناها بثقافتنا وبقي أولئك بعقلياتهم، ونحن أفراد وطن سربلت هواءه السماحة ورضعنا منه الشيم، وأكمل معك. طالما وصلنا بمعيتك الآن إلى فرنسا . دعني أتهمك هنا أستاذ عابد بأن المتتبّع لمسيرتك لا يجد لك أي صدى أدبي إبّان إقامتك في باريس التي لم يكن لك فيها حضور ثقافي على الرغم من صلاتك وعلاقاتك الكثيرة.. هل مرد ذلك الانطوائية الأولى أيضاً؟

- على العكس كانت تلك المرحلة مليئة بالنشاط، حيث التقيت بعدد جيد من المثقفين وكنا نجلس عادة في أحد مقاهي الحي اللاتيني. ومن أولئك الفنان أسدوف وجورج طرابيشي، وأدونيس، وزياد دلول، وأسعد عرابى، وكانت لنا أنشطتنا الثقافية.

أدونيس والحداثة

❁ هنا أستاذ عابد، أنت جليس لأدونيس، ومع ذلك هاجمته بقسوة مرات عديدة في نثارك وكتبك على كلامه حول الحداثة والتراث؟

- هذا صحيح. الحداثة هي مصطلح غربي ولا يبدو منطقياً ربطها بجذر في تراثنا العربي والإسلامي.

❁ هل أطمع بتوضيح أكثر حول علاقتك مع أدونيس، وتلك المسائل التي اختلفتما أو اتفقتما حولها ؟

- أنا أولاً معجب بأدونيس كشاعر، وأعتبره من أعظم الشعراء العرب، وهذا لا يمنع من أن أختلف معه في الرأي.

❁ **أدونيس، ومن بعده الغذامي يزعمان أن جذور الحداثة تمتد إلى تراثنا، وضربوا مثلاً بأبي تمام باعتباره رائداً للحداثة الشعرية في مشهدنا العربي ؟**

- هنالك أقوال أخرى أيضاً، تصف الاشتراكية بأنها من الثقافة الإسلامية. الحداثة ظهرت في أوروبا فكيف نصف أبا تمام بأنه كان حداثياً. ممكن نقول إنه كان مجدداً.

يا أخي، إننا لا نستطيع أن نطلق على الإسلام أوصافاً أو مصطلحات غربية كالاشتراكية أو الليبرالية، كما لا نستطيع أن نطلق أوصافاً غربية على الأدب العربي.

باريس محفورة في الذاكرة

❁ **لأعد إلى باريس، ولا أود ترك هذه الفترة من حياتك، هذه المدينة الساحرة التي تركت ذاكرتها مطبوعة في أثر عديد من الأدباء كطه حسين وتوفيق الحكيم وسهيل إدريس ومحمد مندور وغيرهم؛ فكتبوا عنها بوله وافتتان. سؤالي هنا : ما الذي تركته باريس من ذاكرة في فكر وحياة عابد خزندار؟**

- من تحصيل الحاصل أن أقول إن باريس هي مدينة النور، فهي كذلك فعلاً.. إنها العاصمة الثقافية الأولى في العالم.. بمتاحفها ومكتباتها العامة ومعارضها ومنتدياتها الثقافية الكبيرة.. هذا فضلاً عن جامعاتها ومعاهدها ذات الأنشطة.. وأنا كنت أدرس في جامعة... ومن الذكريات مجيء بورخيس إلى باريس..

❁ **عفواً أستاذ عابد واسمح لي بالاعتراض عليك هنا وتحديداً في لفظة مدينة النور التي ذكرت. أعرف أن تياراً عريضاً من المحافظين بل حتى من الناس البسطاء لا يرون ما تقوله صحيحاً أو مناسباً لمثقف سعودي. أولئك يرون أن**

باريس هي عاصمة التنور العلماني وحداثة فوكوه وبارت، وهي عاصمة الكاثوليكية السياسية. يرون في باريس عاصمة الاستعمار الفرنسي للشام والمغرب العربي بكل قسوته ووحشيته. فكيف تغفل عن هذا في مقابل سنوات عشتها لدى أولئك القوم ؟

- العلمانية مصطلح غربي وهى نشأت لفصل الكنيسة عن الدين، وللقوم أسبابهم التي دفعتهم إلى ذلك؛ فالبابا كان يعين الملوك ويفصلهم وكانت له سلطة مطلقة، أما في الإسلام فليست لدينا مثل هذه المشكلة، إذ لا توجد لدينا حكومة دينية بالمعنى الذي كان موجوداً في أوروبا، بل توجد حكومة تطبق الدين، ولا يشترط في الحاكم أن يكون من (رجال الدين) وقد وضعت هذه الكلمة بين قوسين؛ لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعنى الكهنوتي كما قلت آنفاً، أما باريس فهي عاصمة النور بالنسبة للفنون وليس للأديان، أما بارت وفوكوه فهما ناقدان، وأنا أتفق مع فوكوه في الكثير من آرائه، وخاصة ما يتعلق منها بنظام السجن وتقييد الحريات، أما بارت فهو واحد من الذين أسسوا علم السرد، وليس في هذا العلم أي مذهبية سياسية أو إلحادية، وأنا أتفق معه في الكثير من آرائه وخاصة في النقد الثقافي كنقد الموضة.

❀ **على العموم، هل كتبت شيئاً عن هذا الحب الذي تكنه لباريس ؟**

- نعم. كتبت عن ذلك في مقالاتي بجريدة الرياض.

❀ **لا أقصد تلك الإيماءات القصيرة في الأعمدة الصحافية، بل أقصد التوثيق عبر إصدار كتاب مثلما فعل أولئك الذين عبروا على باريس من الأدباء والمثقفين؟**

- لا . لم أكتب كتاباً عن حياتي في باريس.

❁ **يبدو لي أن المسألة تستحق أن تفكر فيها، وتبقى سجلاً ووثيقة لأجيال جديدة من أبناء الوطن ستأتي وتنظر كيف تعاملتم أنتم من ذهب إلى تلك الحضارة وافتتنوا بسحرها؟**

- ربما أفعل ذلك، ومن يدري. على رغم من مشاغلي الكثيرة، فأنا اكتب عموداً يومياً وأقوم بالترجمة وكتابة رواية وكتابة الذكريات. وبالتأكيد سأدون مرحلة باريس في تلك الذكريات.

❁ **وقبل أن أختم معك مرحلة باريس، بودي توجيه سؤال لك يتلخص في التالي: هل نستطيع القول بأن عابد خزندار هو صوت فرونكوفوني.. وإن كان صوتاً مختلفاً نوعا ما عن أولئك الفرنكوفونيين العتاة ؟**

- مع أنني لا أحبذ أن أتكلم عن نفسي، ولكن يمكنك القول إنني متنوع الثقافة. لقد ألفت كتاباً في الشعر الجاهلي مثلاً. وثقافتي في الأدب الإنكليزي جيدة. كما أن معرفتي باللغة الألمانية لا بأس بها، هذا فضلاً عن الأدب الفرنسي.

❁ **إذن أنت هنا تنفي بوضوح عن نفسك صفة الفرنكوفونية.**

- نعم، وكتبي كما قلت لك هي الفيصل...

عاصمة النور أم التعصب؟

❁ **دعني إذن أستاذ عابد أجادلك في مسألة طرحتها أنت عندما زعمت بأن باريس بلسانها الفرنسي الخالص، هي العاصمة الثقافية الأولى عالمياً. ولكن ألا ترى معي أن ذلك الدور الذي كانت تلعبه فرنسا في زمن ما بدأ في الانحسار إلى صالح الثقافة الأمريكية التي اكتسحت الأخضر واليابس، يدعمها عتاد سياسي واقتصادي وعسكري مهول، وقبل ذلك تصميم على فرض قيمها وثقافتها؟**

- لا أعتقد أن ذلك صحيح. على الرغم من كون نيويورك الأمريكية هي مدينة

ثقافية بامتياز. إنها عاصمة المسرح إذا جاز لنا التعبير. لكن باريس تحتكم إلى تاريخ ثقافي عميق الجذور، تفتقده الثقافة الأمريكية .

❁ **عدت من باريس ووجدت الساحة الثقافة السعودية منشغلة بمعركة الحداثة. ماذا كان موقفك حيال ذلك باعتبارك أحد النقاد الكبار؟**

- كان الأمر مفاجئاً بالنسبة لي.. فالحداثة انتهت في أمكنتها التي نبتت فيها منذ الخمسينيات وظهر هناك ما بات يعرف بما بعد الحداثة.. ووجدت هنا التيارات الأدبية والفكرية تختصم في أمر (حداثة) كانت قد أصبحت ذاوية.. وبالنسبة لي فقد أصدرت كتاباً في ذلك التوقيت حول رواية ما بعد الحداثة. قلت لهم: إن الحداثة انتهت. وكذلك انتهت البنيوية. وكتبت في صحيفة الشرق الأوسط عن ذلك، وكما تعلم فإننا عادة ما نستورد الأشياء بعد انتهاء صلاحياتها.

❁ **وهل غضب أصدقاؤك من الحداثيين كالغذامي والسريحي من تلك الآراء التي كنت تكتبها سيما أنها تصب مباشرة في صالح تيار أخصامهما، قصدت تيار الأصالة؟**

- على العكس تماماً فقد اتفقنا حول تلك الآراء، حتى إن الغذامي صار يكتب عن ما بعد الحداثة..

❁ **حسناً، أنت لم تكن طرفاً في تلك المعركة بين تياري الأصالة والحداثة في بلادنا، بل كنت على الحياد كما يبدو لنا من سياق كلامك. الآن، بودي استشراف قراءة الناقد الشهير عابد خزندار لتداعيات تلك المعركة ونهاياتها التي آلت إليها؟**

- أنا دافعت عن الغذامي عندما هوجم واتهم بسرقة كتاب (تشريح النقد)، ويحسب للغذامي أنه أول سعودي ألف كتاباً طبق فيه المنهج البنيوى في السعودية بالرغم من كل ما فيه من مآخذ وملاحظات.

❁ **سأعود للغذامي الذي أصبح علامة فارقة في تلك المعركة وما بعدها. ما زلت**

أنتظر أستاذ عابد قراءتك الخاصة للاحتراب الذي شهدته الساحة الفكرية والأدبية لدينا في منتصف الثمانينيات الميلادية، وكيف آلت الأمور ؟

- في رأيي أنها كانت زوبعة في فنجان بدليل أنها انتهت ولم تؤسس لأي شيء.

❁ **من خلال حديثك السابق عن الغذامي، هل يعتبر الخزندار صديقه الغذامي رائداً للحداثة في السعودية ؟**

- نعم .

❁ **لكن أستاذنا هناك الفصيل الحداثي الآخر، قصدت به الفصيل الواقعي الاجتماعي، الذي ربما يمثله محمد العلي وفايز أبا شفاه الله، و عبدالله باخشوين..**

- محمد العلي حداثي في شعره.. وفايز أبا واقعي.. والمدرسة الواقعية انتهت منذ ما قبل الحداثة.

❁ **ولكن لو أذنت لي في طرح اعتراضي لإعطائك الريادة للغذامي، لقلت لك بأن تلكم الأسماء في تيار الواقعية، صادروا حق صديقيك الغذامي والسريحي في الانتساب أصلاً للحركة الحداثية، وقالوا عنهما إنهما ولجا من الأبواب الخلفية للحداثة وامتطيا موجتها لأغراض شخصية، وعندما انحسرت الموجة انقلبا عليها. كيف تعلق هنا؟**

- أنا قلت ومنذ مجيئي إلى المملكة بأن الحداثة انتهت في الخمسينيات، والبنيوية انتهت كذلك في الستينيات، وكتاب الغذامي صدر عام ٨٦ م، أي بعد انتهائها .

❁ **على الرغم من أنك قلت بأن الغذامي هو رائد النقد الثقافي الحديث في السعودية، ولكن هنالك من يقول بأن الرجل لا يمتلك أحقية تلك الريادة. ما هي مسوغات الخزندار لإعطاء صديقه الغذامي هذه الهبة المجانية؟**

- أنا قلت إن الغذامى هو رائد الحداثة لم أقل رائد النقد الثقافي. والنقد الثقافي مصطلح غربي وجد عند بارت والسميوطوقيين السوفييت، وقد كتبت عنهم وعن نقدهم الثقافي في كتابي معنى المعنى، وحقيقة الحقيقة، قبل أن يكتب الغذامى عن النقد الثقافي. وأنا الآن أكتب عن النقد الثقافي، مستعيناً ببحث كتب قبل أن يخرج الغذامى بمقولته عن النقد الثقافي، ولطالما قلت وباستمرار: إن النص الأدبي يحتوي على جانب جمالي وجانب أخلاقي. وعندما نتحدث عن الجانب الأخلاقي فإن هذا يدخل تحت النقد الثقافي. وبالنسبة للغرب انتهى النقد الأخلاقي مع نشوء الرواية الواقعية.. والواقعية لم تعد لها أية علاقة بالأخلاق.. والرواية الواقعية لا تصدر حكماً ولا تكبل قيماً.. إنها تصور المجتمع كما هو دون أن تحكم عليه أخلاقياً.. وبالنسبة لنا كعرب، فالشعر الجاهلي مثلاً ممتلئ بالجوانب الأخلاقية.. وعندما ظهر القرآن صار هو المصدر الوحيد للأخلاق.. وما عاد للشعر ذلك الدور الأخلاقي، حتى إننا نجد شاعراً مثل لبيد، وهو من أعظم شعراء الجاهلية، عندما سألوه عن بيت شعر يقوله قال: الحمد لله رب العالمين. وينسب إليه بيت من الشعر يقال إنه آخر ما قرضه من الشعر:

الحمد الله إذ لم يأتني أجلي.. حتى لبست من الإسلام سربالاً.

أو شيء من هذا.. أريد أن أقول بأن الدور الأخلاقي للشعر انتهى مع ظهور القرآن..

❁ **هل أفهم من كلامك أنك تنفي نظرية النقد الثقافي؟ وبالتالي تنفي ريادة الرجل لها؟**

- أنا لم أنف نظرية النقد الثقافي، ولكني نفيت ريادة الغذامي لها.

قراءة لمآلات المعركة

❁ **أطمع هنا متكئاً إلى صراحتك أستاذ عابد في موقفك ورؤيتك الحقيقية للحركة الحداثية في السعودية؟ هل انحسرت؛ لأنها حاولت الخروج عن طابعها كحركة أدبية صرفة إلى مشروع تغييري ثقافي وسياسي واجتماعي كما قال به سعيد السريحي؟.**

- الحركة الحداثية السعودية لم تؤثر في شيء أبداً.. كانت عبارة عن فقاعة سرعان ما تبخرت.

❁ **بودي معرفة أسباب انزوائك عن تلك المعركة. فعلا ألم يكن لك من دور في تلك المعركة بين التيارين؟**

- أنا قلت ومنذ البداية إنني لا أنتمي إلى الحداثة. الحداثة انقرضت بمجيء ما بعد الحداثة.

❁ **هنا دعني أتوقف معك أستاذ عابد. إذا سلمت لك بأنك لا تنتمي للحركة الحداثية المحلية، فإنه من البيّن جداً لأي متابع وراصد لتلكم الأحداث ليكتشف بسهولة كبيرة بأن عابد خزندار استُثمر جيداً ليكون مسؤول التثقيف الأول لكوادر الحركة الحداثية المحلية، حيث قام بترجمة الأفكار والرؤى الحداثية المتفاعلة في الثقافة الفرنسية والغربية عموماً وسردها سرداً غير منتظم. كيف تعلق على هذا؟**

- أنا أتتبع الحداثة وأكتب عنها لأنني اكتشفت أن مفهومها غير واضح لدى الناس. الحداثة هي خليط من العديد من الاتجاهات الأدبية إنها ليست مذهباً واحداً. بل هي عدة (حداثات)... هناك حداثة بودلير.. جويس إلخ. هذه الفكرة كانت غائبة عندنا فلم أقم بغير شرحها للناس.. وقد حاولت في كتابي حديث الحداثة توضيح ذلك..

* **لن أسلّم لك، وما زلت مستغرباً من محاولة نأي نفسك عن حركة الحداثة، ذكرت لك آنفاً بأنك كتبت كثيراً كتابة تثقيفية منتظمة لصالح حركة الحداثة. وأنت الآن تقول بأنك لم تكن ضمنها. هل أستطيع إذن أن أقول بأنك كنت متعاطفا على الأقل معها. صداقاتك وتناغمك معهم كان واسعاً وهو مسجل وموثق. كيف تعلق أستاذنا ؟**

- أنا صديق للجميع، وكما قلت لك: أنا نبهت الناس هنا وحتى في العالم العربي إلى أن الحداثة انتهت وحلت محلها حركة ما بعد الحداثة، صحيح كتبت كتاباً عن الحداثة ولكن للتعريف بها وليس للتبشير بها، والظروف التي أفرزت الحداثة في أوروبا لم تكن موجودة لدينا. أي أننا نقلنا شيئاً غريباً ودخيلاً على ثقافتنا.

من أي الحداثات هي ؟

* **أنا سعيد برأيك هذا، ولكني أسأل: كيف تصنف الحداثة التي كانت موجودة في منتصف الثمانينيات في مجالنا الثقافي المحلي ومن أي (الحداثات) استوردها مشهدنا المحلي؟**

- أعتقد بأن الحداثة الثقافية العربية تأثرت كثيراً بأدونيس، هو رائدها الحقيقي.. وأدونيس يعتبر قمة، ولكن الذين قلدوه هم من أساء للحداثة. ويمكنني أن أقول بأن أدونيس نفسه أساء للشعر بإلغائه للتفعيلة، مما جعل شعره أقرب إلى النثر أكثر من أي شيء آخر. ثم جاء مقلدوه فكانوا كالمسخ فأساؤوا بدورهم للحداثة بأكملها.

* **توصيف ساحر، كلمة"مسخ" هذه أستاذ عابد، دعني أستحضر في هذا المقام مقالة لك بعنوان (الحداثة موضة قديمة. الرياض) قلت فيها بأنك لست ضد الحداثة، فهي لها إنجازاتها الشكلية التي كان من الممكن أن نستفيد منها كما**

فعل أدباء أمريكا اللاتينية الذين أبدعوا أدباً خلاقاً جديداً، ولكن الذي حدث - والكلام لك - أننا أخذنا الجانب السلبي للحداثة ووقعنا في مستنقعات.. السؤال: ما هذا الجانب السلبي للحداثة الذي تلقفه الحداثيون المحليون فما فلحوا ولا أصابوا إبداعاً؟ وما تلك المستنقعات التي وقعوا فيها؟

- الجانب السلبي هو القطيعة مع تراثنا الثقافي، وإذا كان للغربيين وخاصة نيتشه ومن بعده فوكوه لهم أسبابهم الوجيهة لهذه القطيعة فهذه الأسباب لم تكن موجودة عندنا. هناك قطعاً إنجازات حداثية في الأسلوب والسرد وفي الشعر نفسه، وقد استفاد أدباء أمريكا الجنوبية من ذلك كثيراً وقاموا بتطويره، لكن هذا لم يحدث عندنا أبداً.

❁ **ولكن هل أطمع بالأسباب التي جعلتهم لا يستفيدون ولا يطورون تلك الإنجازات؟**

- إذا استثنينا الغذامي وسعد البازعي السريحي مثلاً، فإن كل الذين دخلوا موجة الحداثة لم يكونوا مثقفين ولم تكن لهم أية خلفية ثقافية.

❁ **تهنا يا أستاذ عابد في الحداثات التي سقت. لأحرر معك مصطلح الحداثة أولاً ونكمل نقاشنا تالياً. أنت تقول في كتابك إن أي تعريف للحداثة لابد وأن يرتبط بالجديد؛ لأن الجدة كما يقرر بودلير هي التي تضفي على الحداثة قيمها الأساسية.. واستطراداً تقول بأن ما هو جديد ما يلبث أن يصبح قديماً.. وهكذا تنطلق الحداثة دون أي هدف أو نهاية، وليس ثمة نقطة في مسارها هل أنت مقتنع تماماً بهذا التعريف للحداثة اللا منتهية؟**

- بطبيعة الحال أنا مقتنع بذلك ولكن هناك فرق بين الجدة والحداثة، الجدة وجدت وستوجد دائماً أما الحداثة فكانت موضة وانتهت، ودعني أتساءل هنا لماذا نحن نستشرف الحداثة ؟ إن الظروف التي نشأت فيها الحداثة في أوروبا كانت نتيجة لسيطرة دولة المؤسسات، بحيث أصبحت دولة المؤسسات هي قوة

خانقة للحريات تحول معها الفرد إلى مجرد رقم.. لقد سلبته من فرادته، ومن هنا جاءت الحداثة ثورة ضد المؤسسات، وهذا لم يكن عندنا نحن على الإطلاق.

والحداثة أبرمت قطيعة كاملة مع الماضي، فنيتشة مثلاً ألغى كل الفلسفات والتواريخ السابقة لزمانه. إلى أن جاءت ثورة ما بعد الحداثة فنشأت مرحلتان: إعادة ربط الماضي بالحاضر، والمزج بين الثقافة الشعبية والثقافة العالية، إذن الظروف التي نشأت فيها الحداثة لم تكن متوفرة عندنا، فلم تكن لدينا دولة مؤسسات؛ ولذلك انتهت الحداثة سريعة كما بدأت.

الواقعية السحرية ويوتوبيا الواقع

❁ **لكنك طرحت لنا في نفس المقالة الآنفة مصطلح (الواقعية السحرية) مبشّرا ومحتفياً، واستشهدت برواية (النهايات) لعبدالرحمن منيف وطالبت بتبني هذا اللون لمجتمعاتنا العربية. اعتراضي هنا : هل ثمة مقارنة بين مجتمعاتنا وبين مجتمعات أمريكا اللاتينية التي اشتهر كتابها بلونية الواقعية الشعرية؟ ثم ألا تعتقد أن الواقعية السحرية لم تخفف من آلام الناس في أمريكا اللاتينية حيث الانهيارات الاقتصادية على أشدها مع تخلف متزايد في حركية حياة المجتمع؟**

- أحد الشعراء المكسيكيين قال مرة: مشكلة المكسيك أنها بعيدة من الله وقريبة من الولايات المتحدة. فهناك تسيطر الولايات المتحدة على الأوضاع السياسية والاقتصادية. ولعلك تلاحظ أنه كلما نهض مصلح في أمريكا اللاتينية حاربته أمريكا وقلمت أظافره، مثل: الليندي، أو تعزله، كما هو حال كاسترو.

وأن يكون الأدب متقدماً هناك فهذا لا يتنافى مع ذلك. دعني أعطيك مثلاً تاريخياً آخر من روسيا، حيث المجتمع كان ريفياً ومتخلفاً جداً، لكنه مع ذلك

أنتج أعظم الأدباء مثل: تولستوي وديستوفيسكي وبوشكين وغيرهم. هذا نفسه ينطبق على أمريكا اللاتينية مع أدبائها. وبالمناسبة أوجه الشبه كبيرة بيننا نحن وأمريكا اللاتينية. نحن مثل اللاتينيين نؤمن بالسحر وبالخوارق والمعجزات.

وأعتقد أن العلم الذي حل كل المشكلات تقريباً، حتى صار الحديث الآن عن عالم ما بعد الفضاء، هو الذي يتحكم بالتفكير الغربي. الغربيون لا يلتفتون إلى شيء اسمه معجزات وسحر وخرافة. وليست لديهم روحانية، مثلنا، لكن تفكيرهم علمي إلى أبعد الحدود.

❁ **عفواً أستاذ عابد . الواقع يفند ما تقوله وتحاول تمريره أو إثباته من أننا ومجتمع أمريكا الجنوبية متشابهان. هنا الرسمي والشعبي ضد السحر والخرافات والشعوذة والأساطير، وثقافتنا السائدة ضدها أيضاً ويصل الأمر إلى حدّ قتل الساحر، صحيح أن بعض الفئات القليلة تعيشه وتستخدمه، لكن الأعم ضده .**

- عندما أتحدث عن الواقعية السحرية فأنا في الحقيقة أعني الواقعية الساحرة الموجودة في كتاب ألف ليلة وليلة. والموجودة في رواية ماركيز : مائة عام من العزلة.

❁ **ولكن عندما نستشهد بقصص ألف ليلة وليلة التي تتحدث عن الخير والشر وانتصار الأول، نجد عند مقارنتها بأدب أمريكا اللاتينية، أن الواقعية السحرية هناك تعتبر السحر حقيقة لا يصارعها أحد .. وهذا يدل على أن ربطك بين الواقعتين لم يكن موفقاً، فنحن نتأثر بالسحر، ولكن ذلك لا يتغلغل إلى صميم الاعتقاد؟**

- نحن نؤمن بوجود السحر، ولكن الساحر لا يضر أحداً إلا بأمر الله، وألف ليلة

وليلة نفسها هي واقعية سحرية. وهي زاخرة بإعجاز سردي تبنّوه في الغرب كما تبناه كتّاب أمريكا اللاتينية. الحكاية في ألف ليلة تنطلق منها حكاية أخرى دائماً ولذلك تجد قصصها مجموعة منتظمة من الحكايات المرتبطة ببعضها، وهذا بالذات ما استخدمه أدباء أمريكا اللاتينية.

❀ **قلت مرة، في ندوة حوار الحداثة بصحيفة (المدينة)، إن (بديل الحداثة طرح عالمياً، وأنا نوّهت به محلياً، وأنا لي شرف أن أقول إن البديل تيار ما بعد الحداثة احتوى على عدة تيارات، لكن رأيي أن أهم تيار فيها هو تيار الواقعية السحرية أو أدب أمريكا اللاتينية، هذا أدب هو بضاعتنا ردت إلينا؛ لأن الواقعية السحرية ما هي إلا الواقعية أو التراث العربي). هنا أستاذ عابد. ألا تلاحظ بأنك تناقض نفسك على نقد توجهت به نحو أدونيس والغذامي اللذين قالا: إن الحداثة من تراثنا وناقضت أنت ذلك وفندت عليهما؟**

- الحداثة ليست من تراثنا، لكن ما بعدها هو من تراثنا.

❀ **وكيف تدلل على ذلك؟**

- بوجود كتاب ألف ليلة وليلة الذي تحدثت عنه قبل قليل. وقد قرأه جارثيا ماركيز وهو صغير، وبورخيس قرأ ابن رشد وقرأ طوق الحمامة للأندلسي، وابن طفيل وغير ذلك وتأثر بها. وقرأ ألف ليلة وليلة.. اقرأ أيضاً لماركيز حكاية تلك البنت التي طارت وهي تنشر الغسيل.. إنها أجواء ألف ليلة وليلة. أو النواة التي تقع على رأس أحدهم فيتضح أن تلك النواة جنية. بدأنا نحن بعد ذلك في استخدام الواقعية السحرية، مثلما يكتب إبراهيم الكوني وسليم بركات.

❀ **أستطيع أن أفهم من كلامك هذا أن بورخيس هو الرائد الأول لما بعد الحداثة. اعذرني مرة أخرى هنا في إن أسوق لك رفضك في كتابك (رواية ما بعد**

الحداثة) وضع حد زمني فاصل بين الحداثة وما بعد الحداثة، بدعوى الزمن غير قابل للتقسيم. هلا أجليت لي ولقرائي الأمر؟

- هناك تداخل بالطبع، و هناك نقاد يعتبرون رواية يوليسيس لجويس الصادرة في عام ١٩٢٢م رواية ما بعد حداثية. وربما كانت كذلك؛ لأن جوليس سبق عصره، وأنا كتبت عنها في عكاظ، وأيضاً رواية فنيجان ويك تعتبر ما بعد حداثية، وكما أن الحداثة تحتوي على تيارات مختلفة فإن ما بعد الحداثة يحتوي على تيارات مختلفة، والواقعية السحرية أحد هذه التيارات، وبورخيس هو رائد هذا التيار، وهناك تيار آخر يمثله جاك كرواك في الولايات المتحدة وخاصة في كتابه : (في الطريق).

❁ **ولكن كيف نصل بين زمنية الحداثة وما بعدها، لنعرف، على الأقل أستاذ عابد، في أي زمن نعيش؟**

- من الصعب أن نفصل بين الزمنين، وما بعد الحداثة يتداخل الآن مع تيار يعرف بما بعد الاستعمار الـ Post colonolialismm وهو تيار أدبي مستقل جاء بعد الاستعمار، ويمثل هذا التيار أدباء مثل: أنيتا دياز الهندية، وحنيف قريشي الباكستاني وهما يكتبان باللغة الإنجليزية .... أو لنقل أنهما الناطقان بالإنكليزية من سكان المستعمرات، وهو تيار له سماته الخاصة..

❁ **هل لهذا السبب، سبب انقضاء الأيديولوجيا والنظريات، أمتّ لنا الأجناس الأدبية و أبقيت السرد؟**

- نعم، هذا هو زمن السرد.

❁ **ربما يتبادر السؤال تلقائياً هنا : لماذا السرد؟ ولماذا الجزم بأنه هو المنتصر النهائي ؟**

- الرواية تعتمد على عدة أحداث وعلى حبكة، والسرد لا يحتاج إلى ذلك. والسرد موجود في تاريخنا مثل: معلقة امرئ القيس، وكذلك عمر بن أبي ربيعة لا سيما في قصيدته " أمن آل نعم أنت غاد فمبكّر". وقد كتبت عنها مقالاً في عكاظ. لكنك تجد أسلوب الجاحظ، مثلاً سردياً سواء في (البخلاء) أم في (الحيوان) وهكذا. كما أن الأسلوب السردي موجود في ألف ليلة وليلة. وأعتقد أن ألف ليلة هو عمل عربي وليس عملاً هندياً كما يشاع. العرب اخذوا الإطار السردي في شهريار وشهر زاد ثم بنوا عليه، لكن الحكايات متنوعة من عدة بلدان غير عربية. وقد ترجمت كتاباً هو دراسة عن ألف ليلة وليلة عن اللغة الفرنسية اسمه: أنثوية شهرزاد.

❁ **إذن الأجناس الأدبية، في تقديرك، انتهت ونحن في زمن السرد. يعترضنا سؤال هائل هنا أستاذ عابد: وماذا نفعل الآن - إذا سلمنا لك بقصة الموت فهل يعنى ذلك موت الأعمال الأدبية خاصة تلك الأجناس التي أصبحت أركاناً شامخة في تراثنا وأدبنا؟**

- هذا لا يعني أن هذه الأعمال انتهت، فهي أعمال خالدة.

❁ **هل تريد أن تقول إنها ستستمر متوازية مع بديلك السردي؟**

- نعم ستستمر، فمثلاً ثلاثية نجيب محفوظ بين القصرين التي اتبع فيها واقعية بلزاك موجودة إلى جانب روايته " يوم قتل الزعيم " وهى رواية حداثية من حيث الشكل، وما أعنيه هو أننا لا نستطيع الآن أن نؤلف رواية تعتمد على الحدث، فليس هناك ما يستحق أن يروى كحدث، لا في الغرب ولا بالنسبة لنا. ولتقريب المعنى فإنك تلاحظ الآن بأن الملايين يقتلون في رواندا وصربيا والشيشان، وقريباً العراق.. إلخ، هذه الأحداث لم تعد تهز أو تحرك ضميره .. أو انظر إلى ما يحدث في فلسطين ما عاد شيئاً حدثياً ذا بال حتى بالنسبة لنا نحن العرب،

بل صرنا نستغرب ذلك اليوم الذي لا يقتل فيه أحد. وعلى هذا الأساس فإن هذه المآسي لم تعد تشكل حدثاً يستحق أن يروى ويقص، و السرد وحده الكفيل بإيصال ذلك.

❁ **اعذرني بالتوقف معك في قصة الموت. الغذامي اغتال لنا قبلك المؤلف وحكم بموته. فكرتا موت الأجناس التي تقول بها، هل تتطابق وموت المؤلف التي ادعاها الغذامي. هل ثمة من تطابق بينهما؟**

- ليس هناك موت للمؤلف، وأعتقد بأن الغذامي فهم المسألة بشكل مغلوط. فموت المؤلف تعني نهاية المؤلف بعد تأليف الكتاب، ما يعنيه ألا تهتم بحياة المؤلف أو سيرته، لكن بالمحصلة فإن ذلك لا يعني أن المؤلف غير موجود في نصه الذي كتبه بنفسه. وفي الحقيقة نحن لم نفهم فكرة (المؤلف) هذه. حتى الغذامي لم يفهمها. فكرة (المؤلف) بدأت عند نيتشة.وهو يقصد (المؤلف) (الله).

يعني (موت الله). من هنا نشأت فكرة موت المؤلف. نحن لم ننتبه لذلك فتبنيناها دون أن نعرف مرجعيتها.

❁ **يا ساتر، دخلنا هنا في إشكالية كبرى ربما تقوم الدنيا ولا تقعد. وأعتقد شخصياً أن الرجل فوق هذه الشبهة، وأهرب مباشرة من هذا الجزء أستاذ عابد إلى دعوة أطلقها محمد أركون طالب فيها بتناول النصوص الدينية بالنقد والتشريح وبوضعها وإخضاعها لأدوات البحث والتحليل الحديثة.. هل هذه الدعوة مرتبطة بفكرة موت المؤلف أيضاً؟**

- أنا لا أشكك في عقيدة الغذامي أو أي مسلم، ولعله لم يلاحظ ارتباط فكرة موت المؤلف بنيتشة، أما عن النص القرآني ودعني أقصر الكلام عليه فهو نص أنزل بلسان عربي مبين؛ ولهذا فلكي نقرأه قراءة صحيحة يجب أن تكون لدينا معرفة

كاملة بعلوم اللغة وفقهها، وأيضاً علوم العصر؛ لأن كل عصر له إنجازه المعرفي، وهذا الإنجاز قد يجعلنا نعيد قراءة بعض الآيات فمثلاً آية ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ** ﴾في سورة الرعد، أو ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ** ﴾ هذه فسرت : من ذكر وأنثى " وهذا العلم أصبح معروفاً لكل طبيب، ولهذا فإن الآية لا بد أن يكون لها تفسير أعمق من ذلك، وخذ مثلا هذه الآية من سورة " الشورى " ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ** ﴾ ، ﴿ **إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴾ " فالآن قد يأتي أحدهم ويقول إنه إذا سكن الريح فإنها يمكن أن تسير بالبخار، فإذن لا بد أن يكون للريح معنى آخر، قد يكون القوة، والنص يفسر النص فهناك آية في سورة الأنفال ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ إذن فالريح هذه القوة .

❁ **كما لو أنك تؤيد أقوال أركون؟**

- نعم. النص القرآني قابل لعدة قراءات. السيوطي قال إن القرآن حمّال أوجه. اقرأ ذلك في (علوم القرآن) للسيوطي. هذا الكلام قال به أيضا نصر حامد أبو زيد الذي كفروه. هناك نص آخر: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ فسره الكثيرون على أن الوسطية هي الوسط بين طرفين وهذا غير صحيح، لأن السياق يدل على أن نكون عدولاً لأن الشاهد لابد أن يكون عدلاً.

❁ **هذا من حيث المبدأ لا خلاف عليه بشكل عام. وهناك شروحات كثيرة وقراءات متعددة للمفسرين تزخر بها تراثياتنا، ولكن سأناقشك إن سمحت لي في مقولة أركون التي تشي بنفي القدسية عن النصوص المقدسة؛ وذلك بوضعها ومعاملتها كنص أدبي عادي.. وهنا تكمن الخطورة برأيي؟**

- عندما نعتبرها نصاً أدبياً فهذا لا يعني نفي القدسية عنها (ولو أنني أميل إلى الرأي القائل بأن إسباغ التقديس على الكتب تقليد مسيحي، ونحن نطلق على القرآن لفظ الكريم ولم أعثر في أدبياتنا على أحد وصف القرآن بالكتاب المقدس) بل قد يعني قراءة النصوص المقدسة بطريقة جمالية، وأعتقد أن كل كتب الإعجاز هي عبارة عن نقد جمالي للقرآن، لكن ذلك لا ينفي قدسيته. والنقاد العرب نقدوا النصوص المقدسة، وبالمناسبة كلمة النقد لا تعني التقليل من الشأن أو من القدسية شيئاً، ومع ذلك أنا أفضّل استعمال كلمة قراءة بدلاً من نقد.

النقاد العرب قرؤوا النصوص القرآنية قراءة أدبية. ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ** ﴾.. تجد هنا صورة أدبية رائعة. ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾ صورة أدبية رائعة كذلك.

❁ **هذا لا جدال حوله، وتجد ضروباً مما ذكرت في تفسير الظلال لسيد قطب يرحمه الله. لكن الخوف من إسقاط صفة القدسية عن القرآن هي المعضلة هنا، ما يعني معاملته كأي نص بشري معرض للخطأ والصواب. ولا يخفى على مثلك خطورة هذه الدعوة كونها تنسف المصدر الأول لحضارة امتدت على مدى أربعة عشر قرناً..**

- أنا قلت إن القدسية تعبير مسيحي، والقرآن وُصف في القرآن نفسه بالذكر وبالكتاب وبالوحي (الوحي لغة هو الكتاب) ولكن هناك أحاديث وصفت بالقدسية؛ لأنها من كلام الله عز وجل .

محمد سعيد طيب* يردّ على الخزندار:

الشيخ زكي يماني .. لم يسع لإطلاق الجميع! والشيخ ابن جبير أمر أكبر ضابط بالجلوس والسكوت! وأثق من استكمال الخزندار .. لقناعاته قريباً جداً

أثارت (مكاشفات) الجمعة الماضية مع الأستاذ عابد خزندار .. ردود فعل مختلفة ومتعددة.. وربما امتدت آثارها .. لأسابيع مقبلة.

وفي لقاء مع الأستاذ محمد سعيد طيب .. أبدى أبو الشيماء .. كل الأسف والأسى .. على استمرار هذا الإيقاع المتوتر الذي وصفه بأنه غير منصف .. وغير عادل.. وغير مبرر.. وغير مفهوم أيضاً.!

وقال الأستاذ محمد سعيد طيب بأنه تربطه بالأربعة: معالي الشيخ زكي يماني، والأستاذ عابد خزندار، والأستاذ السيد عبد الله جفري، والمرحوم الدكتور صالح أمبا أوثق العلاقات - بالمعنى الدقيق للكلمة.. ليس منذ عدة سنوات فقط وإنما منذ عدة عقود.. وقد دخل بيوتهم جميعاً.. وتشرف بهم في بيته .. وآكلهم وشاربهم جميعاً.. ومازالت تربطه بهم تلك العلاقات الوثيقة والحميمة التي يعتز بها..؛ ولذلك فإن حزنه عميق .. لما آلت إليه الأمور بين هؤلاء الأصدقاء الأعزاء..

وأضاف أبو الشيماء .. بأنه - طيلة عقود - لم يعهد في صديقه عابد خزندار .. اللّدد في الخصومة .. ولا الرغبة في المماحكة واللجاج - بل .. على العكس .. لمس فيه - دوماً - ثلاث صفات هي: الوطنية .. والسماحة.. والشجاعة الأدبية.

نشرت في صحيفة المدينة - ملحق الرسالة - ٢١ ذو القعدة ١٤٢٣هـ.

ولذلك .. فهو واثق كل الثقة .. بأنه سيأتي يوم قريب .. تكتمل فيه قناعات الأستاذ عابد خزندار .. المستقاة من أصدقائه الحقيقيين.. ومن ذوي الدراية والإطلاع.. الذين يثق فيهم .. وفي وطنيتهم وتجردّهم ونزاهتهم .. وحيدتهم.

وعن ما ورد في (المكاشفات) بأنه - أي الأستاذ محمد سعيد طيب - أكد أن الشيخ زكي يماني تدخل من أجل إطلاق سراح الجميع. وقول الأستاذ عابد خزندار (إذا كان اليماني - كما يقول الطيب - قد تدخل لإخراجهم.. فلماذا لم يفعل ذلك منذ البداية وترك الرجل مسجوناً لمدة ثلاث سنوات؟!).

أوضح الأستاذ الطيب .. بأن الشيخ زكي لم يسع إلى إطلاق سراح الجميع - وإنما سعى - ويشهد على ذلك العديد من رجالات الدولة والمجتمع الذين عاصروا تلك المرحلة - لإطلاق المرحوم الدكتور أمبا .. بعد مضي ثلاث سنوات فقط- أما الآخرون.. فقد ظلوا - بعد إطلاق الدكتور أمبا - والطيب - من ضمنهم أكثر من سنتين ونصف.!

أي أن صالح أمبا .. قد أطلق سراحه - قبلنا - بأكثر من سنتين ونصف.!!

ثم تساءل الطيب هل بعد كل هذا .. أطلق صالح أمبا نفسه؟!

أم أن الشيخ قد توسط لدى رئيس الدولة آنذاك؟!

و أضاف الطيب: ربما غابت الكثير من التفصيلات عن تلك الفترة (نهاية الستينيات والنصف الأول من السبعينيات) لأن الخزندار لم يكن من ضمنهم.. وإنما كان من ضمن جماعة بداية الستينيات.. التي لم يكن صالح أمبا زميلاً له فيها.. وإنما الطيب نفسه كان أحدهم.!!

وأكد الطيب .. بأن هذه حقائق تاريخية.. وشهودها أحياء يرزقون .. سواء أكانوا مثقفين أم مسؤولين في الدولة..

أما فيما يتعلق بالمرحوم الشيخ محمد بن جبير.. فقال الطيب .. بأن موقفه - يرحمه الله - في تلك الفترة كان مشرفاً حقاً .. ويعتبر من أنصع الصفحات في تاريخه.

لقد نهر - يرحمه الله - خلال المحاكمة - عام ١٩٦٤م- أكبر ضابط في الجهاز.. أمره بالسكوت والجلوس .. والتفت إليّ في سماحة أبوية بالغة قائلاً: قول ما عندك يا أخ محمد سعيد.. لقد سمعت كلمة (أخ) يومها لأول مرة منذ اعتقالي..!!

وتلك قصة تطول .. ولكني سأكتبها - في يوم ما- بكل تفصيلاتها.

يرحمه الله ألف مرة.!

واختتم الأستاذ الطيب اللقاء بقوله: عندما جمعته - في الثلوثية - مع الأستاذ الدكتور منصور الحازمي.. بدا الخزندار - يومها - سمحاً نبيلاً .. وإنني واثق كل الثقة أنه سيكون أكثر سماحة ونبلاً.. عندما يستكمل قناعاته من ذوي الدراية والإطلاع.. والذين أتاحت لهم مراكزهم المتعددة أن يكونوا قريبين من الأحداث سواء في الإدارة العليا .. أو حتى على مستوى شهداء لدى الكاتب بالعدل.. أو غيره لبعض المشاركات التي تمت - ذلك الوقت - مع المرحوم الدكتور أمبا.

وأضاف الطيب - متأثراً:

- ليرحم الله من مضوا .. وليدرك الباقون - دون استثناء- بأنه قد مضى من العمر أكثره.!!

ساحة بقلب ورفقاء بمشاعر!!

بقلم : د.عاصم حمدان*

يؤسفني القول إننا - معشر الكُتَّاب في ساحة الثقافة والفكر والأدب - من أكثر الناس انتقاداً للآخر، ومن أكثرهم ضجيجاً في كل واد حول ما يصلح وما لا يصلح، وما هو قائم من الأمر وما يجب عليه أن يكون، ولكننا من أقل الفئات بحثاً في دواخلنا عن مكامن الداء ومواضع الضعف، وفي كثير من الأحيان لا نعطي أمثلة عملية من حياتنا وسلوكنا لما ندعو إليه من شفافية وديمقراطية وتعددية.

لقد مرت أشهر عديدة ونحن نرى في هذه الساحة صراعاً ضارياً نفتقد في بعض الأحيان - من خلاله - الحد الأدنى من المفاهيم والسلوكيات المطلوب توفرها في أطراف الحوار، فهذا لا يتورع عن إلصاق تهمة - من النوع الثقيل - بنظيره أو محاوره، ولم يسلم من ذلك من تصنفهم كمحافظين وآخرين ليبراليين أو مجددين، ولم يفرق الداء بين جسد وآخر، فشمل من تعلموا في جامعات ذات صبغة عربية وإسلامية محضة وأخرى غربية السمات أو إفرنجية الملامح.

والأشد من هذا والأنكى هو أن المدرج في الساحة مليء بالمشاهدين والمتفرجين ونضيف (والمتسلّين) - بضم الميم وتشديد اللام - وقلة من هؤلاء ممن يعنيهم تخفيف حدة هذا الصراع الذي تحول إلى داء ينخر في جسد المجتمع ويتسبب في تلاشي صداقات دامت لعدة عقود من الزمن، وقلة من هؤلاء ممن يسعى لجمع

* نشرت المقالة بتأريخ ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٤هـ بصحيفة المدينة

أطراف هذا الحوار أو الصراع فيؤلف قلوبهم بدلاً من أن يفرقها، ويقرب أفكارهم عوضاً عن تباعدها وتنائيها، وقلة من يعنيهم أمر شيخ طاعن في السن أو حبيب يرقد في غرفة الإنعاش، فإذا نحن نستغل ضعف قواه فنرميه بالسهام الطائشة، وهذا مما تنفر منه الطباع السليمة والأخلاق الإنسانية، أو أخ يمر بظروف حياتية صعبة فيقودنا الهوى لاستغلال هذه الثغرة فنهجم عليه ونثخنه جراحاً! فلنسأل أيها الزملاء - وأنا واحد منكم - كيف قضى أديب واعد مثل: صلاح عبد الصبور، فلقد اتهمه أحد أصدقائه في وطنيته، وكان - عبد الصبور - حيياً وخجولاً؛ فاستغل ذلك الصديق المحسوب عليه هذه الفضيلة وذلك النبل في شخصيته فردد تلك الاتهامات عليه في محفل من الناس، وفي الليلة التي كان عبد الصبور يتوقع أن تكون ليلة وفاء له وفرح بمقدمه وإشادة بإبداعاته الشعرية، وكان بعض الرفاق يتمنون على المهاجم - والمحسوب صديقاً أو رفيق عمر - أن يصمت، وظل يلاحقه حتى أخرجوه - أي الضحية - من مكان الاحتفال مغمي عليه، وأسدل الستار على حياة عبد الصبور، ولم يفعل الرفاق بعد ذلك شيئاً بالجاني، الذي سفك دم أخيه بالكلام الذي هو أمضى من السيف المسموم حداً.

نعم أيها الزملاء، الذين أحب بلا استثناء وأقدر من دون تمييز، نعم أيها الرفاق الذين أطل عليهم بشوق من كوة الدار، من فتحة (الروشان) نعم يا أعزائي !! لم يأخذوا على يد الجاني ويعيدوه - بأي سبيل ممكن وحضاري - إلى رشده وصوابه، ولم يكن هو - أي رفيق عبد الصبور - يملك من الضمير الحي والإحساس الإنساني ما يكفي لمعرفة خطيئته وشنيع فعلته وما ألحقه من ضرر فادح بحياة زميله المرهف الإحساس والرومانسي المشاعر والذي وجد في (الحلاج) المقتول - من وجهة نظره - وحياته المشردة ما يخفف عنه عذابات هذه الحياة وشدة وطأتها عليه وهوانه على

بني قومه وعدم استشعارهم بأن إنساناً أو رمزاً أو مثالاً لا يعيش بينهم، وهل كان بكاؤهم عليه ورثاؤهم له في الدوريات والمحافل يرضي نفسه عند البارئ عز وجل.

ولنكن صرحاء أيها الزملاء الذين إلى مرآهم أحن، وبمشاعرهم الصادقة يتغذى وجداني المنهك هو، الآخر كم من أمثال عبد الصبور سوف يذهب إن لم نع الدرس ونتعلم من المأساة.

* كاتب وأديب سعودي